الفصل الرابع: الدكتور محاضير محمد انموذجاً للقائد المسلم السياسي المعاصر

تمهيد:

إنْ قُدِّرَ لباحث منصف وموضوعي أن يرصد التطور الفكري المعاصر في العالم الإسلامي، وجهود المسلمين في عملية المواجهة الشاملة لتحديات الحقبة المعاشة في تاريخهم، فإنه لن يتجاوز بحال جهود القائد السياسي المسلم الدكتور محاضير محمد، رئيس الوزراء السابق لدولة ماليزيا الإسلامية[1].

ليس لأنه قدم مساهمة واضحة – بصرف النظر عن الاتفاق مع مضمونها أو الاختلاف – في تشخيص الخلل وأبعاده في العالم الإسلامي، واقتراح المخرج منه، أو لأنه في ذلك التقدم صدر عن وعي وفهم أو لأنه نهض باجتهاده لإخراج المسلمين مما أصابهم وفق رؤية تتجاوز موقع رد الفعل، أو موقع المرحلية المؤقتة، إلى حيث الإقبال على القرن الواحد والعشرين بفاعلية وتطور.

---

[1]- تعد ماليزيا إحدى الدول الهامة في إقليم جغرافي كبير ومتميز وهو إقليم جنوب شرق آسيا، ويتميز هذا الإقليم بأنه يضم في الغالب وحدات سياسية جزرية أو شبه جزرية، وتعد ماليزيا من الدول التي تجمع بين هذين النمطين إذ تتكون من قسمين الأول: جزء من شبه الجزيرة الكبيرة في الإقليم وهو ما يعرف بشبه جزيرة الملايو ويسمى أيضاً ماليزيا الغربية، والثاني: جزء من جزيرة بورنيو ويعرف بماليزيا الشرقية. يفصل بينهما مسطح مائي متسع هو بحر الصين الجنوبي، وعلى هذا فقد جمعت ماليزيا سمات الإقليم الذي تنتمي إليه من حيث الجزرية أو شبه الجزرية وهو ما لا يتوافر في أية دولة أخرى من دول الإقليم وربما في العالم كله، فالدول المجاورة إما دول جزرية كاملة مثل إندونيسيا والفلبين أو شبه جزرية مثل فيتنام الجنوبية وبورما إلى حد ما. كما أن هناك دولاً لا تطل عل البحر على الإطلاق مثل لاوس، وتقع ماليزيا بين دائرتي عرض 1,20درجة, 6,40درجة شمالاً أي إلى الشمال من خط الاستواء وتمتد بين خطي طول 100 درجة شرقاً في الغرب إلى خط طول 119 درجة شرقاً في الشرق, كما تبلغ مساحة دولة ماليزيا نحو 330,000كم2. للمزيد أنظر: المنوفي، كمال. و عوض، جابر سعيد. وميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص:3. ويسكنها حوالي 28مليون نسمة وفق تقديرات عام 2011.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وإنما لأن محاضير قدم فكراً ما ورؤية لتلك القضية المصيرية من موقع قَلَّمَا توافر لغيره، نعني بذلك موقع المفكر، والسياسي، والقائد، ورجل الدولة، الأمر الذي أكسب رؤيته وفكره عمقاً في التحليل، وخبرة في تحديد الأولويات والأبجديات، وقدرة على الإحاطة بالأبعاد الخفية للقضية، فضلاً عن الواقعية، والبُعد عن الإفراط في الخيال[1].

في هذا الإطار جاء الإهتمام بدراسة الفكر السياسي الإسلامي لمحاضير محمد، والتي لا تهدف إلى تعظيمه، بل تقديم الخريطة الفكرية لمحاضير محمد بشكل منهجي لفهمها واستخلاص النتائج اللازمة منها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- منجود، مصطفى محمود .2006 . رؤية محاضير محمد للإسلام . تحرير: سليم، محمد السيد. *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. ص: 93 .

المبحث الأول: محاضير محمد نشأته وحياته السياسية

المطلب الأول: نشأته وحياته السياسية

يعتبر محاضير محمد رابع رئيس وزراء لدولة ماليزيا منذ استقلالها في العام 1957م[1]، حيث تولى منصب القيادة سنة 1981م، وتجددت ولايته خمس مرات نتيجة انتخابات ديمقراطية حتى اختار أن يترك السلطة سنة 2003م ويسلم دفة القيادة في بلده لنائبه عبدالله أحمد بدوي، مقدماً بذلك نموذجاً رفيعاً لانتقال السلطة سلمياً في إحدى دول العالم الإسلامي، ويعد محاضير محمد مؤسس نهضة ماليزيا الحديثة إذْ نجح في الانتقال ببلاده من دولة نامية صغيرة إلى مصاف النمور الصناعية الآسيوية وواحدة من أسرع الاقتصاديات نمواً في المنطقة الآسيوية والمحيط الهادي[2].

وعلى الرغم من الجدل الذي يثار حوله، فإنه يظل واحداً من أشهر القادة السياسيين الآسيويين والمسلمين، الذين تمتعوا بروح المبادرة والتأثير في الأحداث بدرجة أكبر من أن يكون في موقف رد الفعل منها، ووصلت حياته السياسية أهمت محاضير محمد قدرته

1- إذ سبقه لتولي هذا المنصب كلٍ من: تنكو عبد الرحمن بترا والمعروف برائد الإستقلال ورب العائلة Bapa Malaysia وفترة حكمه: (1957 – 1970)، وتون عبد الرزاق بن داتؤ حسين ويُلَقَّبْ برائد التنمية استمرت فترة حكمه ستة سنوات (1970 – 1976)، وتون حسين عون المعروف بأبو التضامن في ماليزيا (1976 – 1981)، وخلف محاضير محمد في قيادة دفة الحكم كلٍ من: عبدالله أحمد بدوي (2003 – 2007)، ثمَّ الرئيس الحالي نجيب تون عبد الرزاق.

2- سليم، محمد السيد. 2006. *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. جامعة القاهرة: برنامج الدراسات الماليزية. ص: 3.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

كمنقذ لبلاده من الإضطرابات السياسية والأزمات الاقتصادية على مواجهة التحديات سواء في إطار قيادتهِ للبلاد أو لحزبه "أمنو UMNO"[1].

ويمكن معالجة التطور التاريخي لماليزيا في عهد محاضير من خلال إلقاء الضوء على أهم ملامح نشأته وحياته السياسية وشخصيته الكاريزمية ثم التطرق إلى السياسات التي اتبعها هذا الأخير للنهوض بالاقتصاد الماليزي والارتقاء بمكانة ماليزيا الدولية، مع تمسكه وحفاظه على الموروث الماليزي التقليدي الإسلامي.

وُلِدَ محاضير محمد في 10 ديسمبر سنة 1925م، في كوخ خشبي عنوانه: رقم 18 Lorong Kilang Ais بجانب شارع يسمى Pegawai بقرية تسمى Seberang Perak بلدة آلور ستار Alor Star عاصمة ولاية قدح Kedah شمالي ماليزيا[2].

اسمه بالكامل محاضير محمد بن إسكندر العسكري، وأمه هي السيدة وان تيمباوان بنت وان حنفي وهو أصغر إخوانه الستة، نشأ لأسرة ريفية متوسطة الحال، حيث عمل والده مدرساً في أول مدرسة حكومية إنجليزية في عام 1908، وظل بها إلى أن تحولت إلى كلية السلطان حميد، حيث عين مديراً لها.

وقد تلقى محاضير تعليمه في هذه المدرسة، وبعد أن وقع الاحتلال الياباني لماليزيا خلال الحرب العالمية الثانية، سافر محاضير محمد إلى سنغافورة في عام 1947 لدراسة الطب

1- اختصار لـ "Unied Malay National Organization" أي التنظيم القومي للملايو للتحد، وقد أنشئ العام 1946م.
ويعد حزب أمنو من أقوى الأحزاب السياسية وأكثرها تماسكاً داخل ماليزيا. للمزيد أنظر:

2- *Majlis Konvoresyen Khas Universiti Sains Islam Malaysia*. 15 Syawal 1431H- 24 September 2010. *Pusat Konvensyen Antarabangsa P utrajaya (PICC)*. Universiti Sains Islam Malaysia .Nilai. p.70.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بكلية إدوارد السابع الطبية بسنغافورة، وتخرج منها سنة 1953م، وبهذا يختلف محاضير عن سابقيه من رؤساء الوزراء في أنه لم يتعلم في الغرب أو يتأثر بثقافته، في 5 أغسطس سنة 1956م.

وبعد عودته إلى مسقط رأسه آلور ستار تزوج محاضير محمد من سيتي حسمة محمد علي زميلته بالكلية، في منزل الأسرة الذي ولد فيه، كما مارس بعد عودته من سنغافورة مهنة الطب في بلدته ألور ستار حيث افتتح عيادة خاصة به، وكانت أول عيادة يمتلكها طبيب من الملايو في بلدته، واشتهر عنه خلال ممارسته لمهنة الطب عطفه على الفقراء من الملايو وانغماسه النشط في السياسات المحلية للملايو حتى أنه كان يطلق عليه "دكتور أمنو" نسبة إلى حزب الأمنو، وهو الحزب الذي كان ينتمي إليه محاضير منذ إنشائه في عام 1946[1].

وقد بدأ نجمه يسطع في سماء السياسية الماليزية مع انتخابه عضواً في البرلمان عام 1964 ودفاعه عن الملايو ووحدة الدولة الماليزية، إذ دعا محاضير إلى إعطاء الملايو نصيباً عادلاً من الثروة القومية لماليزيا، وفي هذا الخصوص هاجم بعض الأحزاب التي ينتمي إليها غير الملايو وبخاصة الصينيين واتهمها بأنها تعمل ضد مصالح الملايو، كما عارض محاضير خلال تلك الفترة المبكرة من حياته السياسية في البرلمان انفصال سنغافورة عن ماليزيا.

وانتقد في هذا الشأن رئيس الوزراء آنذاك تونكو عبد الرحمن لسماحة بمثل هذا الانفصال ودعاه إلى فرض الحكم المباشر من قبل كوالا لمبور على سنغافورة، وفي هذا ظهر

1- سليم، محمد السيد، وسليم، رجاء إبراهيم. 2006. *التكوين الفكري السياسي لمحاضير محمد*. تحرير: سليم، محمد السيد. *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. جامعة القاهرة: برنامج الدراسات الماليزية. ص: 4.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

محاضير محمد كمتحدث رئيسي لحزبه أمنو في صراعه مع لي كوان يو رئيس وزراء سنغافورة وكان من أقوى المنتقدين له بسبب تدخله في الشئون السياسية لماليزيا، كما انتخب محاضير في عام 1964 كرئيس لمنظمة التضامن للشعوب الأفروآسيوية في ماليزيا، بعد اختياره من قبل بلاده ماليزيا لمنصب المندوب الدائم لها بالأمم المتحدة.

غير أن هذا لا يعني أن الطريق السياسي كان ممهداً أمام محاضير، وإنما واجهته العديد من التحديات سواء قبل شغله لمنصب رئيس وزراء أو بعد شغله لذلك المنصب، ففي عام 1969 تعرض مستقبله السياسي لهزة عنيفة كادت تقضي عليه، إذ هزم من ناحية في انتخابات البرلمانية التي أجريت في ذلك العام بسبب تأييد غير الملايو من الصينيين لمنافسة مرشح الحزب الإسلامي المعروف الحاجي يوسف راوا Haji Yousaf Rawa، نظراً لتبني محاضير لقضايا الملايو في البرلمان، ومن ناحية أخرى تم طرده من حزب أمنو في 26 سبتمبر سنة 1969م، بسبب انتقاداته لرئيس الوزراء آنذاك تونكو عبد الرحمن ودعوته الضمنية له في رسالته إليه بالاستقلال من منصبه، وذلك في أعقاب أحداث الشغب التي قام بها الملايو في ذلك العام احتجاجاً على تردي أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية مقارنة بغيرهم من غير الملايو، لكن الأكثر مدعاة للدهشة هو أن محاضير دخل حزب أمنو مرة أخرى في 7 مارس سنة 1972م، في الوقت الذي كان كتابه "معضلة الملايو" محظوراً من النشر آنذاك.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الذي نشر لأول مرة في سنة 1970 والذي حاول فيه محاضير محمد شرح أسباب الاضطرابات العرقية التي حدثت في 13 مايو سنة 1969م[1].

وفي عقدي الثمانينيات والتسعينيات واجه محاضير تحديات عديدة سواء على صعيد قيادته للحزب أو للبلاد، وأشهرها تلك المتعلقة برضالاي Rezaleigh ومجموعته في عام 1987م، بشأن التنافس على قيادة حزب أمنو، وأزمة أنور إبراهيم في عام 1998، والأزمة المالية الآسيوية التي عصفت ببلاده في عام 1997م.

وقد تغلب محاضير على كافة هذه التحديات وخرج منها منتصراً، حتى أنه لم يحدث في تاريخ الحياة السياسية الماليزية أن تمكن قياديٌ سياسيٌ من الصعود في فترة قياسية أشبه بالمعجزة والبقاء في منصبه كرئيساً للوزراء وللحزب لأطول فترة مثلما حدث لمحاضير، فبعد أن كان خاسراً في الانتخابات ومطروداً من حزبه أمنو في عام1969م تمكن من العودة إلى الحزب وإلى البرلمان بعد فوزه في انتخابات عام 1974م، ثم اختياره في ذات العام وزيراً للتعليم في حكومة تون عبد الرزاق، وأحد نُوَّاب رئيس الحزب في عام 1975م، ثم وزيراً للتجارة والصناعة في عام 1976 بحكومة حسين عون ونائباً لرئيس الوزراء في يوليو 1981، ثم رئيساً للوزراء وللحزب في يوليو 1981 في أعقاب استقالة حسين عون.

[1]- سليم، محمد السيد، وسليم، رجاء إبراهيم. 2006. *التكوين الفكري السياسي لمحاضير محمد*. في: *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. تحرير: سليم، محمد السيد. جامعة القاهرة: برنامج الدراسات الماليزية. ص: 4-5.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويرجع هذا الصعود السريع لمحاضير خلال عقد السبعينيات من القرن المنصرم إلى ظهور محاضير في أعقاب فشله في انتخابات 1969 وطرده من حزب أمنو كرمز لطائفة الملايو والمضحي بمصالحه من أجل قضاياهم في مواجهة غير الملايو وبخاصة الصينيين، علاوة على تغير الأوضاع في ماليزيا خلال عقد السبعينيات بعد تبني الحكومة وحزب أمنو للسياسة الاقتصادية الجديدة NEB في أعقاب اضطرابات 1969، وذلك بطريقة تضمنت أهم ما جاء من أفكار في كتاب محاضير بشأن معضلة الملايو وضرورة تعزيز قدراتهم والنهوض بهم اقتصادياً وعلمياً، بما يقلل الفجوة بينهم وبين غيرهم من غير الملايو في المجتمع.

كما لم تنجح محاولات كل من رضالاي ومجموعته إبان عقدي الثمانينيات والتسعينيات، أو حتى أنور إبراهيم في أواخر التسعينيات في تحدي قيادة محاضير للحزب وللبلاد، إلى أن تنازل هو بإرادته في أكتوبر عام 2003 عن كافة مناصبه الرسمية والحزبية لصالح خليفته عبد الله أحمد بدوي.

ولاشك أن هذا قد تأتي له بفضل نجاح سياساته في الميدانين الداخلي والخارجي وبخاصة في المجال الاقتصادي، مما جعل الشعب الماليزي يلتف حوله وحول حزب أمنوالذي يرأسه في كل الانتخابات البرلمانية خلال عقدي الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي.

وأكد محاضير في معالجته لكافة مستويات مشكلات المجتمع الماليزي على ضرورة تعاون المجتمع (وتحديداً الجماعات التي يحتمل أن تكون أكثر معارضة للمساواة العرقية بالمفهوم السابق ذكره) مع الدولة وذلك لتحقيق الغايات المستهدفة من القوانين والسياسات

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والإجراءات التي يتم تبينها بما يكفل تحقيق التجانس والتعايش بين مختلف الأعراق في ماليزيا، وليس مجرد "التحمل" لأوضاع لا يمكن تغييرها في الوقت الراهن.

وقدّم محاضير رؤيته التي أوضح فيها إستراتيجية التنمية في ماليزيا برؤية أعلن عنها في فبراير 1991 وهي "رؤية 2020" " Vision 2020"، والقائمة على عدة محاور مترابطة من أهمها[1]:

1- بناء القومية الماليزية القائمة على تقوية الشعور "بالماليزية" لدى جميع الأعراق في المجتمع الماليزي ليلتقي الجميع حول وعي واحد بالعيش المشترك فيما بينهم، حيث ركزت رؤية 2020على خلق مجتمع متجانس وموحد وسليم دينياً وخلقياً وقيمياً، ويتسم بالمستوى المعيشى المرتفع، إضافة إلى التسامح والحرية والتقدم وحرية العقيدة لجميع الماليزيين وحقهم في ممارسة عادتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم مع وجود شعور بالانتماء إلى أمة واحدة Bangsa Malaysia .

2- تقديم نموذج للتنمية الرأسمالية يقوم الرأسمالية الوطنية والأجنبية عبر تشجيع المشروعات الخاصة والسعي لجذب الاستثمارات الأجنبية والاتجاه إلى التصنيع الموجه للتصدير وخصوصاً في مجال الصناعات ذات القيمة المضافة العالية والمرتبط بتطوير التكنولوجيا الماليزية وليس مجرد التجميع) وتطوير تكنولوجيا المعلومات والسعي للتحرك شرقاً للاستفادة من الخبرات اليابانية والكورية.

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 169-170.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

3- الاهتمام بدور الإسلام وما يطرحه من قيم تمثل قوة دفع للتنمية في ماليزية، تشجيع عملية بناء مؤسسات اقتصادية وتعليمية إسلامية في ماليزيا في إطار مفهوم "الدولة التي تهتدي بالقيم الإسلامية" وليس "الدولة الإسلامية" انطلاقاً من الإسلام هو أحد مكونات المجتمع الماليزي لكنه ليس العنصر الوحيد نظراً لتعدد الأعراق في المجتمع الماليزي، واستناداً إلى رؤية مفادها أن الإسلام لا يقدم نموذجاً محدداً للتنمية بقدر ما يقدم مجموعة من القيم التي تدفع نحو التنمية.

4- التركيز على الدور المحوري للدولة في الاقتصاد والسياسة، فالخصخصة لا تعني انسحاب الدولة من النشاط العام ولكن تحول دور الدولة نحو التركيز على التخطيط لضمان سير المشروعات الرأسمالية في إطار الأهداف القومية أي رعاية وتشجيع المشروعات الخاصة ووضع السياسات التوجيهية العامة وذلك في إطار مفهوم أو نموذج "ماليزيا المدرجة أو المتعاضدة Malaysia Incorporated".

ويلاحظ في هذا الإطار ربط رؤية 2020 بين أهداف النمو الاقتصادي، والنهضة الأخلاقية القيمية، والوصول إلى مجتمع المعرفة، والإصلاح السياسي (أهداف الوصول إلى مجتمع ديمقراطي "ناضج" قائم على الرضا المتبادل والتوافق في إطار عملية التنمية) مع الأهداف الثقافية العرقية وغاية بناء القومية أو الأمة الماليزية[1].

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 170.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المطلب الثاني: مكانة الدين الإسلامي في الدستور الماليزي

تتعدد المواد التي وردت بها إشارة إلى المسائل الدينية في الدستور الماليزي، ومن أهمها ما يلي:

أ- تحديد الدين الرسمي للدولة: تنص المادة الثالثة من الدستور على أن "الإسلام هو الدين الرسمي للاتحاد لكن يمكن ممارسة الأديان الأخرى بسلام وانسجام في أي جزء من الاتحاد".

ب-حرية العبادة: تنص المادة الحادية عشرة (11) على أن: كل شخص في اعتناق وممارسة دينه والدعوة له بشرط الالتزام بالفقرة الرابعة (د)، وأنه لا يجب أن يفرض على أي شخص دفع ضرائب تخصص حصيلتها كلياً أو جزئياً على نحو خاص لأغراض دين معين يختلف عن دين ذلك الشخص،

وتمتلك كل جماعة دينية الحق في:

- إدارة وتولي شئونها الدينية.
- إقامة المؤسسات ذات الأغراض الدينية والخيرية والحفاظ عليها.
- اكتساب الملكية والحفاظ عليها وإدارتها بما يتفق مع القانون.

ينص قانون الولاية (والقانون الفيدرالي فيما يتعلق بالأقاليم الفيدرالية في كوالالمبور ولابوان).

- لا تسمح هذه المادة بأي فعل أو تصرف يتعارض مع أي قانون عام يتعلق بالنظام العام أو الصحة العامة أو الآداب والأخلاق.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أي توفر هذه المادة أسس حرية العقيدة والعبادة، وحرية الدعوة أو الترويج لمعتقد معين باستثناء الدعوة الموجهة إلى المسلمين (الملايو بصورة أساسية وغيرهم من المسلمين من الجماعات المختلفة)[1].

جـ- المساواة أمام القانون وعدم التمييز على أساس الدين تنص المادة الثامنة (8) على أن "جميع الأشخاص سواء أمام القانون وجميعهم مطالبون بالاحترام المتساوي للقانون، وأنه استثناء ما تم الترخيص به صراحة في الدستور، لا يجب أن يكون هناك تمييز ضد المواطنين باستثناء فقط إلى الدين أو العرق أو الأصل أو مكان الميلاد، وذلك في أي قانون يتعلق بامتلاك أية ممتلكات أو الحفاظ عليها أو إيداعها، أو ممارسة أي عمل أو مهنة أو وظيفة أو تجارة[2].

إلاَّ أنه يلاحظ أن المادة الثامنة قد أوردت عدة استثناءات لا يجوز الطعن فيها بعدم الدستورية استناداً إلى هذه المادة، ومن ضمن هذه الاستثناءات أية نصوص تهدف إلى توفير الحماية أو الحياة الطيبة أو التقدم للسكان الأصليين لشبه جزيرة الملايو بما فيها الحفاظ على الأرض، أو تخصيص نصيب معقول من الوظائف الملائمة في الخدمة العامة للسكان الأصليين.

د- الدين والتعليم تنص المادة الثانية عشرة (12) كمن الدستور على أنه:

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 184.

2- المرجع السابق.ص: 184- 185.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

دون الإخلال بعمومية المادة الثامنة (المتعلقة بالمساواة أمام القانون) لا ينبغي أن يكون هناك تمييز ضد أي مواطن بالاستناد فقط إلى الدين أو العرق أو الأصل أو مكان الميلاد، وذلك فيما يلي:

- إدارة أية مؤسسة تعليمية تنفق عليها السلطة العامة، خصوصاً (أي عدم التمييز بوجه خاص) فيما يتعلق بقبول التلاميذ والطلاب ودفع المصروفات.
- (عدم التمييز) في تخصيص أو منح أموال المساعدات المالية من السلطة العامة للإنفاق على التلاميذ والطلاب وتعليمهم في أية مؤسسة تعليمية (سواء كانت هذه المؤسسة موضع إنفاق من قبل السلطة العامة أو لم تكن، وسواء كانت داخل أو خارج الاتحاد).
- تملك كل جماعة دينية الحق في إقامة (والحفاظ على) مؤسسات تقوم بتعليم الأطفال الدين الخاص بهذه الجماعة، ولا ينبغي أن يكون هناك أي تمييز على أساس الدين وحده فيما يتصل بأي قانون يتعلق بمثل هذه المؤسسات أو في طريقة تنفيذ مثل هذا القانون.

لكن يكون من القانوني للاتحاد أو أية ولاية القيام بإنشاء أو إنفاق على أو المساعدة في إنشاء أو الحفاظ على المؤسسات الإسلامية، وكذا توفر الدعم أو المساعدة في تعليم الدين الإسلامي، وتحمل النفقات الضرورية لهذا الغرض[1].

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 185.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

- لا ينبغي أن يطلب من أي شخص تلقي تعليمات أو دروس أو توجيهات أو إرشادات، أو المشاركة في أي احتفال، أو العمل بمبادئ تتعلق بدين غير دين ذلك الشخص.

- انطلاقاً من أهداف الفقرة (3) يتحدد دين الشخص الذي لم يبلغ الثامنة عشر بناء على قرار من والده أو وصيه.

أي أنه يمكن الخلوص إلى أن الدستور الماليزي قد اعترف بواقع تعدد الأديان، وعمل على توفير المساواة (باستثناء معينة) وحرية العبادة لأصحاب الأديان المختلفة في ماليزيا، مع إعطاء وضع خاص للإسلام "السني" (بوصفه الدين الرسمي للدولة، وعدم السماح بالدعوة إلى معتقدات أخرى بين المسلمين)، ويلاحظ أن الدستور يجعل من حاكم كل ولاية أعلى سلطة دينية في ولايته (باستثناء محدودة) ويتعامل مؤتمر الحكام مع المسائل الدينية التي تهم الأمة كلها (على المستوى القومي الاتحادي).[1]

الإسلام في ماليزيا:

يمثل الدين الإسلامي دين غالبية الماليزيين (23 مليون نسمة بنسبة 56،5% من السكان)، والإسلام هو الدين الرسمي للدولة مع السماح للأفراد باتباع أديان وديانات أخرى بشرط عدم محاولة تحويل المسلمين عن عقيدتهم.

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 186.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ويمثل الإسلام عنصراً محورياً في شخصية الملايو وهويتهم، والمحور الأساسي للتماسك الديني الثقافي للملايو، فالإسلام بمثابة عماد مجتمع الملايو وهو ما يتجسد في التعريف الدستوري (في المادة 160 الفقرة الثانية) من ينتمي إلى الملايو بأنه الشخص "المسلم الديانة" الذي يتحدث لغة الملايو بصورة اعتيادية، ويتمسك بتقاليد الملايو، كما يظهر ذلك في استخدام عبارة "Masuk Melayu" (بمعنى الدخول في مجتمع الملايو) لوصف تحول الشخص من غير الملايو إلى الإسلام.

فالإسلام ليس مجرد دين بالنسبة للملايو، لكنه كان دائماً مكوناً محورياً من مكونات أسلوب الحياة لدى الملايو، كما أن نظام القيم الاجتماعية للملايو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإسلام، فقد خضع الملايو تقليدياً لعظام السلاطين المسلمين، بما في ذلك فترة الحكم البريطاني، كذلك فإن السلاطين الماليزيين يضطلعون بدور أساسي في حماية وتطبيق قواعد الشريعة الإسلامية، كما أن الدستور الماليزي يعطي السلطان في كل ولاية حق التدخل لحماية المبادئ الشرعية الإسلامية ومراعاة تطبيقها، كذلك يحمي الدستور المسلمين من التبشير بديانة أخرى، وتفرض بعض الولايات غرامات مالية على أداء الشعائر الدينية الإسلامية[1].

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 186.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وقد شهد مجتمع الملايو منذ بداية القرن العشرين نهضة فكرية إسلامية تمثلت في مناظرات فكرية بين الإصلاحيين والتقليديين المسلمين، كما حافظ الملايو دائماً على علاقات وثيقة مع العالم الإسلامي من خلال البعثات الدراسية، وقد ساعدت تلك البعثات على استمرار وحيوية وعي مجتمع الملايو بالإسلام، رغم تدفق أعداد ضخمة من الصينيين والهنود إلى أرض الملايو منذ بداية القرن العشرين، ولعل مما ساعد على عمق تمسك الملايو بالقيم الإسلامية وجود مجموعات عرقية أخرى غير مسلمة تكاد تشمل نصف السكان، ومن ثم شكل الإسلام بالنسبة للملايو أساس الهوية القومية وأداة التماسك الاجتماعي في مواجهة الآخرين.

وقد حدث نوع من الصحوة الإسلامية في ماليزيا (وبخاصةً منذ بداية سبعينيات القرن العشرين) في صورة حركات الدعوة "Dakwah" التي ضمت الشباب المسلم في الحضر بصورة أساسية، وقد أسهمت هذه الحركات بدرجة كبيرة في زيادة مظاهر "أسلمة" أو إضفاء الطابع الإسلامي على الحياة في ماليزيا في معايير الملبس والسلوك وغيرها.

فالحركات الإسلامية في ماليزيا تندرج تحت مفهوم "الدعوة" كمفهوم واسع يقصد به الدعوة إلى الإسلام أو إلى عودة المسلمين إلى تطبيق القيم الإسلامية، كما تركز حركات الدعوة على نشر الإسلام بين غير المسلمين، ومن ذلك منظمة "بيركيم PERKIM"، Kan Pertubuhan Kebajikan Islam Malaysia (التي تركز على نشر الإسلام في المجتمع) ومنظمة "الرفاه والتبشير"، وهناك تنظيمات أخرى، مثل جماعة التبليغ، تركز على نقل الرسالة

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الإسلامية إلى المسلمين عن طريق المقابلات الشخصية، وتعمل جماعة التبليغ بنشاط في أوساط الهنود الماليزيين باعتبارها امتداداً لحركة التبليغ الهندية.

كما توجد بالإضافة إلى هذه التنظيمات ذات الطابع الديني التبشيري البحت، توجد تنظيمات أخرى تحاول التأثير في السياسة الماليزية في اتجاه تبني القيم الإسلامية، ومن أهمها حركة دار الأرقم، وحركة الشباب الماليزي المسلم "ABIM" (Angkatan Belia Islam Malaysia) والحزب الإسلامي الماليزي "PAS".[1]

أمّا إذا ما انتقلنا لمكانة الإسلام في سياسة ماليزيا الخارجية أي على الصعيد الدولي فإننا نجد الكثير عن مدى حرص واهتمام دولة ماليزيا بإقامة جسر للتواصل والتعاون مع كافة بلدان العالم الإسلامي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- المنوفي، كمال. عوض، جابر سعيد. ميتيكس، هدى. 2006. *الأطلس الماليزي*. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. برنامج الدراسات الماليزية. ص: 186.

المبحث الثاني: رؤية وفلسفة محاضير محمد للإسلام

لا يعني ما سبق ذكره في مقدمة هذا الفصل من أنَّ اهتمام محاضير بقضايا العالم الإسلامي كان طارئاً، أو بعبارة أدق جاء وليد حقبة ما بعد أحداث سبتمبر، أو حقبة ما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عامةً، كَلاَّ ليس ذلك ما نعني، ولا يقول به إلا من لم يطلع على مصادر محاضير الفكرية التي صاحبت مساره السياسي والفكري حتى قبل ولايته رئاسة مجلس الوزراء ماليزيا في مطلع الثمانينيات وحتى عام 2003م، أم تلك التي مازال يضيفها إلى رصيده الفكري منذ تركه السلطة طواعيةً واختياراً، كذلك لا يقول بذلك إلا من عجز عن متابعة المسيرة الفكرية والحركية لهذا المفكر القائد.

وإنما القصد أن محاضير مثله مثل غيره من رُوَّاد الفكر الإسلامي المعاصر- على تباين موقعهم وتخصصاتهم- ألحت عليه الحقبة المعاصرة من انتكاسة الأمة، فانفعل بها وتفاعل معها، كحلقة جديدة ضمن حلقات الشغالة بالهم الإسلامي في تجلياته، وتداعياته، والأمثل في تجاوزه.

ولعل نقطة البدء في كشف عما قدم في هذا السياق يقتضي معرفة الأساس الذي انطلق منه، فضلاً عن معرفة كيف وظف هذا الأساس، بعبارة أخرى إن الأمر يقتضي منا أن نعرف من ناحية أولى كيف نظر إلى الإسلام كمدخل أولى لازم، ولا غنى عنه في التصدي للخلل، وهذا يفترض استحضار فكره ورؤيته للإسلام في حقيقته ومعناه، وأن نعرف من ناحية ثانية كيف استدعى هذا المدخل في كل علة وداء، وهذا يفترض بدوره تجاوز استحضار

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

فكره ورؤيته للإسلام في حقيقته ومعناه إلى حيث تلمس وتبين هذه الحقيقة وذلك المعنى في القضايا، والمفاهيم، والظواهر، والمواقف، والسياسات، والقرارات التي تطلبتها عملية التوظيف بالمعنى السابق.

إن جوهر هذا المبحث يقف عند هذه الناحية، أما الناحية الثانية فقد تصدت لها بقية المباحث، وهنا يثار أكثر من تساؤل كيف نظر محاضير إلى الإسلام؟ وكيف ألحَّ على فكره ورؤيته أسلوباً ومنهجاً؟ وما الذي ركز عليه من أبعاد في فكره ورؤيته للإسلام؟ وهل كان منطقياً وضرورياً أن ينطلق من تلك الأبعاد؟.

هذا ما سنحاول الإجابة عليه في الصفحات التالية وعبر محاور ستة، هي بالترتيب، ملامح المنهج في رؤية محاضير محمد للإسلام، الإسلام المرجعية العليا للمسلمين، الإسلام نظام الحياة الشامل، الإسلام قيمة حضارية وأخلاقية، الإسلام دين الإنماء في كل زمان ومكان، الإسلام عملية تجديدية دائمة.

المطلب الأول: ملامح المنهج في رؤية محاضير محمد للإسلام

لا يبدو الحديث عن هذه الملامح من قبيل التكلف قدر ما هو محاولة للاقتراب من الطريقة التي تناول من خلالها محاضير محمد حديثه عن الإسلام، وما بثه في هذا الحديث من آراء وأفكار، ولذلك أهميته من منحيين، **الأول** بيان مدى علمية هذه الطريقة، وذلك يساعدنا في الحكم بالتالي على مدى علمية الساسة ورجال الدولة حين يقدمون رؤاهم

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بخصوص قضية ما، أو موضوع، أو ظاهرة، أو مفهوم، إلى آخره، **والمنحى الثاني** بيان الضوابط التي التزمها محاضير وهو يعرض للكيفية التي أصَّلَ من خلالها رؤية للإسلام، لتكون المرشد الأمين لمن قدر له أن يتابع هذه الرؤية، ووفق تلك الضوابط.

ولقد أمكن من خلالها التتبع الفكري لمصادر محاضير محمد التي اقتربنا منها بشكل أو بأخر، وتوافر الكثير منها تحت يدينا أن نلمس الملامح المنهاجية التالية:

1- كثرة الاستشهاد بالآيات القرآنية، في معرض الحديث عن رؤيته، وتوكيد هذه الرؤية، والتدليل عليها، وندرة الاستشهاد بالأحاديث النبوية، رغم اعتراف محاضير أنها والقرآن بمثابة النبع الصافي والرائد للتشريع الإسلامي، والأمر الملفت للنظر أنه غالباً لا يلجأ إلى كتب التفسير، وكتب شرح السنة، في استخلاص ما فهمه، وما توصل إليه واستنبطه من تلك المصادر المنزلة، وذلك راجع ربما إلى أنه كان يسلم بشك في كثير من التفسيرات التي جاء بها العلماء الذين كانوا محسوبين على الأمة، أو أنه كان يريد ويبتغى رؤية عصرية في فهم القرآن والسنة، أو لما كان يرى أنه كغيره من المسلمين يستطيع العودة مباشرة إلى هذين الأصلين الجامعين، لما أوتى من مؤهلات المعرفة عن الإسلام، وإن لم يصل بها - كما أعلنها صراحة - إلى درجة العالم فيها، أو المجتهد غير المسبوق الذي يقف على قدم المساواة من علماء السلف[1].

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 11.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

2- لم يلجأ محاضير محمد إلى التأويلات الفقهية الكثيرة، ولم يرد أن يخوض في اختلافاتها، ومذاهبها المتنوعة من أهل السنة، أو الشيعة، ولم يشأ أن يشغل نفسه بذلك، خاصة وأنه كان يرى أنها كانت أحد العوائق التي حالت بين المسلمين وبين واقعهم، وأورثتهم المذهبية التقليدية الجامدة، وفتحت الباب من ثم إلى انشقاق المسلمين منذ صدر الإسلام بين الشيعة والسنة، ودخل فيها من ليس من أهل العلم بالمصادر الشرعية، ممن أسماهم بالأدعياء، وفقهاء السلاطين[1].

لقد أعطى محاضير محمد لنفسه الحق في أن يجتهد في قضايا فقهية مختلف عليها، ولكنه لم يضع في حسبانه أن الاجتهاد الفقهي في مثل هذه القضايا ينبغي أن تحكمه ضوابط مسبقة، لعل أولها رد هذه القضايا إلى علماء الأمة من الفقهاء الذين صنفوا الاحكام المناسبة لها، وحين تجاوز هذا الضابط وقع نفسه في الكثير من المؤخذات والانتقادات، التي حسبت عليه، وردت عليه، من جانب كثير من علماء المسلمي، من ذلك ما تأوله في مسألة حد تطبيق السرقة (الذي قال عنه بأنه حد يتطوي على علم الغيب)، وتطبيق حد الزنا، فضلاً على ما تأوله من احكامٍ شرعية في خلافهِ مع نائبه السابق أنور ابراهيم[2].

3- كما غلب عليه الاستظهار بالخبرة التاريخية للمسلمين في كثير مما قاله عن الإسلام حقاً وحقيقة، وبشكل يشهد على علم واضح بهذه الخبرة وتطوراتها، ومواقفها، وطبيعة أحداثها، ولعل ذلك كان مقدمة مهمة ساعدته في استخدامه فكرة النموذج التاريخي، خاصة في صدر

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. 14-21.

2- محمّد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دارٌ الفكر. ص: 44-45.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الإسلام، ليدلل من خلاله على الأثر الذي أحدثته حقيقة الإسلام الحضارية في المسلمين حال التزامهم به، واستخدام بعضها الآخر – خاصة في حقبة ما بعد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تبعها من حقب الاختلاف والتمزق والانتكاس والجمود – ليظهر من خلالها الأثر السلبي نتج عن الفهم الخاطئ للإسلام في الأمة[1]، وكأنه أراد أن يبرهن على أن تاريخ المسلمين المشرق فيه من العبر والدروس والنماذج التي يمكن أن تفسر حال النهوض وحال الانكسار، وبيان أسباب ذلك، ومظاهره، وأثاره، ولذلك لم يكن يساره أدنى شك في قيمة تلك النماذج، ولذلك من السهل على أي باحث منصف أن يكتشف ذلك في الكثير من مصادره المعرفية، بل إنه على المستوى الشخصي لم يتورع عن التصريح مباشرة بأنه إنما استدعى نموذج السلوك الإسلامي في خير القرون الهجرة النبوية للمدينة في عملية مواجهة الأزمة المالية التي تعرضت لها ماليزيا وبقية دول جنوب شرق آسيا في العام 1997[2].

4- قدرته على الاستعانة بالمنهاجية المقارنة في توكيد رؤيته وآرائه في حقيقة الإسلام وقيمته وأثار الالتزام به، وأثار الانفكاك من أحكامه، فقارن بين واقع المسلمين قبل الإسلام مع الجاهلية الأولى وحالهم مع الإسلام في عصر النبوة، وقارن بين وحدة المسلمين في ذلك العصر النموذج وبين اختلافهم منذ نهاية عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقارن بين قدرة المسلمين على استيعاب الإسلام واستيعاب متطلبات عصورهم في ريادتهم للعلم والمعرفة،

1- محمد، محاضير. 2003. موسوعة الدكتور محاضير محمد: الإسلام والأمة الإسلامية. مج1. القاهرة: دار الكتاب المصري. ص: 194-202. ص: 210-211.

2- Mahthir Mohammad, 1998, *The Challenges Of Trurmoil, Malaysia* .: Kuala Lumpur: Malaysia: Pelanduk Publication, pp.210-211.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الإسلام، ليدلل من خلاله على الأثر الذي أحدثته حقيقة الإسلام الحضارية في المسلمين حال التزامهم به، واستخدام بعضها الآخر – خاصة في حقبة ما بعد خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وما تبعها من حقب الاختلاف والتمزق والانتكاس والجمود – ليظهر من خلالها الأثر السلبي الذي نتج عن الفهم الخاطئ للإسلام في الأمة[1]، وكأنه أراد أن يبرهن على أن تاريخ المسلمين الطويل فيه من العبر والدروس والنماذج التي يمكن أن تفسر حال النهوض وحال الانكسار، وبيان أسباب ذلك، ومظاهره، وآثاره، ولذلك لم يكن يساره أدنى شك في قيمة تلك النماذج، ولذلك من العمل على أي باحث منصف أن يكتشف ذلك في الكثير من مصادره المعرفية، بل إن على المستوى الشخصي لم يتورع عن التصريح مباشرة بأنه إنما استدعى نموذج السلوك الإسلامي في الهجرة النبوية للمدينة في عملية مواجهة الأزمة المالية التي تعرضت لها ماليزيا وبقية دول جنوب شرق آسيا في العام 1997[2].

4- قدرته على الاستعانة بالمنهاجية المقارنة في توكيد رؤيته وآرائه في حقيقة الإسلام وقيمته وأثار الالتزام به، وأثار الانفكاك من أحكامه، فقد قارن بين حال المسلمين قبل الإسلام مع الجاهلية الأولى وحالهم مع الإسلام في عصر النبوة، وقارن بين وحدة المسلمين في ذلك العصر النموذج وبين اختلافهم منذ نهاية عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقارن بين قدرة المسلمين على استيعاب الإسلام واستيعاب متطلبات عصورهم في ريادتهم للعلم والمعرفة،

1- محمد، محاضر. 2003. موسوعة الدكتور محاضر محمد: الإسلام والأمة الإسلامية. مج1. القاهرة: دار الكتاب المصري. ص: 194-202. ص: 210-211.

2- Mahthir Mohammad, 1998, *The Challenges Of Trurmoil, Malaysia* .: Kuala Lumpur: Malaysia: Pelanduk Publication, pp.210-211.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وبين عجزهم المعاصر عن فهم أنفسهم وفهم إسلامهم، وتشويههم حقيقة الإسلام في علاقاتهم بغيرهم، وقارن كذلك بين علماء الحق وبين علماء الباطل، علماء السلاطين، وقارن بين التجديد في فهم الدين وبين الجمود فيه، إلى أخره من مقارنات مثبتة في ثنايا أفكاره، وهذه المقارنات فضلاً عما فيه من إلمام ووعي بالاختلافات والتشابهات في عملية المقارنة، وقدرة على توظيف التاريخ فيها بشكل بارع، إلاَّ أنها تظهر مدى حرص محاضير على إضفاء المصداقية الواقعية، والاستمرارية على أفكاره.

إنه يريد هنا من ناحية أخرى أن يلقى باللائمة على الأمة لتتبين ما كانت عليه، وما هي عليه في لحظتها المعاصرة، وليجد فيها الأمل من ناحية أنها رغم ذلك، قادرة على أن تعود إلى أصلها في العلوم الحكمية للإسلام، فإن أرادت الدليل، فلترجع إلى تاريخها، وخبرتها، خاصة عصر النبوة، وما تلاه من عصور زاهرة.[1]

5- استحضار الخبرة الماليزية في أفكاره ورؤيته للإسلام، فماليزيا الدولة، والمجتمع، والعقيدة، والأعراق، والتاريخ، والحياة، والإنسان، والنهوض، والانكسار، والإمكانيات، والمستقبل والحاضر، والماضي، لم تغب عنه ولم يغب هو عنها، في أفكاره ورؤاه المتعددة، أنها الإطار المرجعي الذي لم يستطع أن ينفك عنه وهو يتحدث في كل مصادره المعرفية تقريباً عن نموذجها - أي ماليزيا - في علو مرجعية القرآن والسنة، وفي صياغة نظام للحياة منطلق من الإسلام يتفق وخصوصياتها، وفي الالتزام بالإسلام قيماً وأخلاقاً، وفي تقديم نموذج حضاري

1- محمود، مصطفى محمود. 2006. *رؤية محاضير محمد للإسلام*. تحرير: سليم، محمد السيد. *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. ص: 96.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

تجديدي قادر الاستجابة لمتطلبات ما تعايشه وتعاصره، وفي إقامة مجتمعها التعددي الأثني على قاعدة من تسامح الإسلام وعدله، وفي صياغة برنامجها التنموي وفق أحكام الشرع الإسلامي، أكثر من ذلك يجعل محاضير محمد من ماليزيا نموذجا للدولة الإسلامية المعاصرة، بل قد لا نكون مبالغين أن قلنا أنه بلغ في استحضاره ذلك النموذج حد التحيز وتسفيه الآخرين، من داخل ماليزيا، ومن خارجها، فيمن أبدوا مؤاخذات على ذلك النموذج، وجاهروا بمعارضته، والاختلاف معه، ورصد بعض المواقف والسياسات والبرامج، ناهيك عن القرارات، التي تمخضت عنها، خاصة في الحقبة التي امتطى فيها محاضير صهوة رئاسة الوزراء لقرابة الربع قرن تقريباً.

6- الجرأة في عرض رؤيته للإسلام نتيجة الاعتزاز بالرأي والتحيز له أحياناً، وهذه الجرأة قدر ما أورثته الصلابة في الدفاع عن حقيقة الإسلام، ورفض إلصاق دعاوي الجمود والتخلف به وفيه كما سنرى، جعلته شديدا في إلقاء اللوم والتوبيخ للأمة على درجة جلد الذات أحياناً- كما وصفه بعض الباحثين[1]، وقاسياً في نقده الفقهاء الذين وافقوا عن السلاطين، وعن الجمود والتقليد، وقوياً في رمي المسلمين أنفسهم وأنهم تقاعسوا عن فهم الإسلام، وفهم رسالتهم من خلاله، وارتضائهم الاستضعاف والتخلف.

الذي لا شك فيه أن خبرته السياسية الواسعة وخبرته الشخصية كطبيب سابق، وتمرسه على المواقف الصعبة وتحديها بثبات ملفت للنظر، وأن أخذه البعض على ذلك، كل

1-http://www.albayan.comae/albayan/2002/o5/08.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ذلك كان له الأثر في جرأته وشجاعته في تقديم رؤيته، لكن الذي لا ينكر منصف أن غيرته الشديدة على أمته، وعلى دينها قد قوت فيه تلك النزعة المطلوبة في التصدي لقضايا المصير والوجود، وقد سبق لنا القول في موضع أخر أنه هنا استخدم مشرط الجراح في بعض المواقف – الفكرية والحركية – لكنه فاته أحياناً أن السياسة – فكراً وحركة – قد تتأبى على قبول منطقة التطبيب، وأن فيها ما يصعب أحياناً استخدام هذا المشرط، إن لم يجعل من استبعاد حقيقة لا يمكن تجاوزها[1].

7– البعد عن الدخول في مساجلات فكرية، أو مجادلات نظرية مع الآخرين في حديثه عن الإسلام رؤية فكرية، فرغم أنه كان جريئاً وشجاعاً إلاّ أنه لم يوجه أي منها للدخول في خصومات ومشاحنات مع أي كان لشخصه وذاته، ومن يتابع مصادره إبان ما حدث بينه وبين أنور إبراهيم، نائبه السابق، يكتشف أنه ابتعد عن المهاترات الشخصية معه، وحرص على أن يظهر أن القضية معه لم تكن شخصية، بل كانت قضية أخلاقية، وسياسية، وقانونية[2]، وكأنه أراد أن يؤكد أن اهتمامه أو تركيزه في عرضه للإسلام، أو الحديث عنه لا ينبغي أن يؤدي إلى تخصصه، أو شخصنة هذا الاهتمام، ولذلك وجدناه حتى وهو يؤاخذ

1- منجود مصطفى محمود. 2001. *الإسلام والحركة السياسية في فكر محاضير محمد*. في: عبد الفتاح، سيف الدين. و عابدين السيد صدقي. *الأفكار السياسية الآسيوية الكبرى في القرن العشرين*. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. ص: 201-248.

2- منجود، مصطفى محمود .2006. *رؤية محاضير محمد للإسلام* . تحرير: سليم، محمد السيد. *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية. ص: 98.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بعض العلماء على فتاواهم، ويشدد على بعض الجماعات التي رماها بالعنف والتطرف والتزمت، لم يذكر أحدا باسمه، أو وصفه.

وعلى العكس مما سبق لم يتوان في بعض القضايا الأخرى التي انتقل فيها من رؤيته للإسلام وفيه، إلى رؤيته للإسلام في تلك القضايا إلى الرد الشديد دون مواربة، أو مهاترة، وهل ننسى رده على العولمة وروادها في الغرب، ورده على مسلك بعض المضاربين الأمريكيين في الأزمة المالية العام 1997، وناهيك عن رده على إسرائيل ومسلكها العنصري الذي فتح عليه أبواب النقد والهجوم.[1]

المطلب الثاني: تقريره لمبدأ "الإسلام المرجعية العليا للمسلمين"

يستطيع المرء أن يكتشف حقيقة تعليم محاضير محمد وإيمانه بأن الإسلام له المرجعية العليا، بمعنى أن يرد إليه أمر الأمة في شؤونها كافة مادامت تعلن انقيادها لهذا الإسلام، والتسليم بعبوديتها لله وحده، ولذلك كان حريصا على تأكيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت مهمته الناجحة هي توحيد عرب الجاهلية في أمة تخضع للإسلام في توحد وتناصر مع رسولها الخاتم، وكتابها الواحد، ووحي الله الواحد في هذا الكتاب[2]، وقد ظل الرسول صلى الله

1- كلمة محاضير محمد التي ألقاها بمناسبة عقد القمة الإسلامية في منظمة المؤتمر الإسلامي بالعاصمة الماليزية كوالالمبور في أكتوبر 2003م حول اليهود وحكمهم للعالم بالوكالة، وما أحدثته هذه التصريحات من ردود أفعال إسلامية وغربية، خاصة ما ذكره بشأن معاداته للسامية. http://www.eyelash.ps/vp/archive/index.

2- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 11.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

عليه وسلم ومن خلفه من المسلمين صادقي الإيمان على ما أعلنه محاضير محمد من الاعتراف بأن المصدر في عقيدتنا وشريعتنا هو القرآن والسنة، لأن القرآن والسنة في اعتقاده "لم يتركا أمراً في الشؤون الدينية والشؤون الدنيوية من دون أن يطرحا له بدائل عديدة وواضحة"[1].

ورتب محاضير على تلك البديهية نتيجة مؤداها أنه إذا أهملنا تعاليم الإسلام فإن الأمة لا تكون قد ارتكبت خطأ فضيعا فحسب" وإنما سنعمل أيضا على حرمان أنفسنا من مزايا الإسلام ومنافعه، وإذا حدث أن فشلنا بعد ذلك أو ألحقت بنا المهانة والضعف، يجب علينا عندها ألا نلوم أحدا إلا أنفسنا"[2].

انطلاقاً مما سبق، أكد محاضير محمد مجموعة من الآراء:

1- أنَّ إظهار الالتزام بهذه المرجعية العليا قد يحدد مسلكين[3]، مسلك الالتزام بأحكام القرآن والسنة في القضايا التي لهما فيها أحكام واضحة وصريحة، ومسلك الالتزام بالاجتهاد وإعمال العقل في القضايا التي وضع فيها الإسلام قواعد كلية عامة في التشريع، أو في القضايا التي ليست فيها أحكام واضحة، أو قواعد عامة، وقد اتفق العلماء على الأخذ كذلك بإجماع الصحابة ثم إجماع العلماء، وبعد ذلك القياس، ثم الاستحسان، والمصالح المرسلة.

2- أنَّ المجتمعات الإنسانية إذا كانت في تعاملها مع الحقيقة الدينية تنقسم إلى أقسام ثلاثة وهي مجتمعات الغربية ذات الغالبية المسيحية، التي تقتصر مرجعية الدين على الحياة الخاصة

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 224-235.

2- المرجع السابق. ص: 155.

3- محمد، محاضير. وإبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 14.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

للفرد بعلمانية مفرطة، والمجتمعات في شرقي آسيا التي تعترف بمرجعية الدين فيها، ولكن في إطار من عدم خلطة الدولة، والمجتمعات المسلمة الشديدة التمسك بالإسلام، فإن المجتمعات الأخيرة تظل لها القدوة الحسنة يفاخر بها المسلمون ما دامت تسعى وتعلى هذه المرجعية، ولكنها تبقى قدوة سيئة لا يفاخر بها المسلمون إذا ما استغنت عن هذه المرجعية ويعتقد محاضير أن خبرة المسلمين لا تخلو من نماذج للقدوتين[1].

3- أنَّ هذه المرجعية لها كلمة الفصل في الحكم على ما يصدر من اجتهاد علماء المسلمين، وليس العكس، فرغم أنهم في رأيه أفراد ورعون، إلا أنهم ليسوا أنبياء، وليسوا معصومين، بل هم بشر بما في كل البشر من نقاط قوة ونقاط ضعف، كما أن منهم من ليس من الفقهاء الورعين، خاصةً إذا دخل مثل هؤلاء الفقهاء -أو أدخلوا الدين- في مجال السياسة، والتاريخ فيه أمثلة لعلماء دين وافقوا سادتهم في كل شيء، وبرروا[2].

4- إنَّ هذه المرجعية هي التي يرد إليها اختلاف المسلمين إذا تشبعت بهم سبل الاختلاف، وعدم الاتفاق على رأي جامع، وقد اعتبر محاضير عدم ذلك واجباً لازما عندما تستبد الحيرة بالمسلمين في القضايا الدينية، وعندما لا يجدون إلا أقوالاً عديدة للعلماء[3]، وعندما تختلط عليهم الأمور الدينية[4]، ليس هذا فحسب، بل إن محاضير عدَّ ذلك دليلاً على تمكُّن حقيقة

1- محمد، محاضير. و ايشيهارا، شنتارو. 1998. صوت آسيا. بيروت: دار الساقي. ص: 60-61.
2- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. صوت ماليزيا. القاهرة: دار الشروق. ص: 41- 42.
3- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 226-228.
4- المرجع السابق. ص: 226.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الإسلام من المسلمين، وإلاَّ فإن فعل خلاف الالتزام السابق مآله التعرض للخطأ و مجانبة الصواب[1].

5- أنَّ مرجعية الإسلام تفرق بين ما هو إسلامي، وبين ما هو مسلم، من التشريعات، فالقانون أو التشريع لا يكون إسلامياً إلاَّ إذا جاء مطابقاً لأصول الشرع وروحه، ولكنه يظل دون ذلك ، أي مجرد تشريع صادر عن المسلمين ليست له الصفة الإسلامية الشرعية[2]، وأن اجتهد فيه عالم مسلم أو توصَّل إليه، بل وأن تبنته حكومة إسلامية، أو أصدرته، أو أعلنت التزامها به.

6- إنَّ هذه المرجعية تفترض الالتزام بين الإيمان والعمل به، والفكر والحركة، والتأمل والممارسة، في ضوء قيم الإسلام وأحكامه، وتأبى على أن يظل الإسلام مجرد طقوس نظرية، أو شعائر لا حركة فيها، فذلك ينافي طبيعة الإسلام ومرجعيته من حيث "إن الإسلام ليس شعائر ومظاهر فقط، وإنما ينعكس في التزامنا بالاعتدال والحكمة في كل ما نقوم به"[3]، هنا نلاحظ كيف يجعل محاضير الرابط بين المظهر والجوهر، وبين الشكل والحقيقة في الإسلام هو القيم، التي تتحول إلى واقع في المعاش والسلوك والسوك، وعجز عن فهمه – أي الواقع –

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 155.
2- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 45- 46.
3- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 151.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الكثير من المسلمين الذين مازالوا مرابطين على الجوانب الشكلية في الإسلام أكثر من إيمانهم بجوهره[1].

7- إنها أخيراً مرجعية لا تقبل التنازل أو الاستغناء بغيرها، وإلا كان البديل هو هوان المسلمين ومذلتهم، وهنا يؤكد محاضير محمد أن هذين الداءين سيظلان ينخران في جسد الأمة ما استمر المسلمون في رفض تعاليم الإسلام الصحيحة التي تكسبهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم، وتجعلهم يسعون لاكتساب المعارف التي تؤهلهم لذلك، بل سيظل الحال على ما هو عليه من صحة امادام المسلمون لم يعملوا لدنياهم و لأخرتهم، ولم يلتزموا بأوامر الإسلام، ولم ينتهوا عما نهى عنه[2].

هذه الحقائق التي رتبها محاضير على مرجعية الإسلام العليا للمسلمين رغم ما فيها من توافق مع ما تفرضه هذه المرجعية لتظل فاعلة في حياة المسلمين، لم تنسه الحديث عن أو التذكير بأنها – أي المرجعية – تعرضت وتتعرض لابتلاءات من بفعل المسلمين وسلوكهم، تمثل مداخل للعدوان على المرجعية، ولتشويه معانيها.

من هذه المداخل يذكر محاضير محمد ما يلي:

– التفسيرات المتناقضة لأحكام الإسلام وتعاليمه وتشريعاته، نتيجة التطورات التاريخية التي مرت بها الأمة منذ تمزقها بسبب الصراع على السلطة ورغبة بعض الأشخاص في تولي منصب

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 102.

2- المرجع السابق. ص: 124.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

الخلافة بصرف النظر عن أحقيَّتِهم في ذلك[1]، الأمر الذي أوجد مبرراً لقيام بعض العلماء بإصدار فتاوى خاصة بهم، وإنشاء طوائف وطرائق خاصة بهم، مستعينين في إصدار تلك الفتاوى بتأويلات غير صحيحة، وبأحاديث نبوية لا أساس لها من الصحة[2]، وهكذا وجد المسلمون أنفسهم طوال الأربعة عشر قرناً الماضية مُمزَّقين بين تفسيرات مختلفة للإسلام وأحكام مختلفة يَدَّعِي صاحب كل منها صحة ومطابقة ما فيها للأحكام الصحيحة.

- الازدواجية في التزام بالمرجعية العليا بين الإيمان بها والعمل من خلالها، وهذه الازدواجية لا تقف عند شكل واحد[3]، فنحن المسلمون نمتلك ثروات كبيرة، ورغم ذلك يعاني بعض المسلمين من مجاعات مهلكة، وتأتي البلدان الإسلامية التزامها بالإسلام حين أن النزاعات والحروب بينها لا تتوقف، ولا يتورع بعض المسلمين عن إظهار الالتزام بالدين في نفس الوقت الذي لا يتورعون فيه عن اللجوء إلى من يسميهم عاجزين بالكفار طلباً للعون والنصرة، فضلاً عن أنَّنا كمسلمين نقع في خصومات ونزاعات مستمرة، لم يكفينا شرور الأعداء، مع أن ما أصابنا هو من كسب أيدينا.

- تقطيع أوصال المرجعية العليا بين الخلافات المذهبية والعقائدية، خاصة مع انقسام المسلمين إلى فرقتين غالبتين، فرقة السنة، وفرقة الشيعة، بفعل عوامل تاريخية، وسياسية، ودينية، ومعرفية، لم يكن معها -أي عوامل- إلى أن أضحت صورة الإسلام الموحدة للأمة، المانعة

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم: دمشق: دار الفكر. ص: 169- 170. ص: 192.

2- المرجع السابق. ص: 169.

3- المرجع السابق. ص: 191- 193.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

للتفرق في الدين، بلا حقيقة، في الوقت الذي تدهمهم فيه هذه الأمة لأشكال العدوان كافة من داخلها، ومن خارجها، وفي الوقت الذي تدهمهم فيه تحديات القرن الواحد والعشرين، وهم أبعد أمم الأرض عن التهيؤ لها، وتوحيد الصف لمواجهتها.

وينفي محاضير أن تكون الأمة مؤهلة للدخول في هذا القرن بإمكانات الاستعداد له، وكل حصونها مهددة من مناح شتى، في عالم تسيطر عليه القوى العظمى التي لا يوجد بينها قوة واحدة مسلمة، وعالم أينما قلبت النظر في أوضاع المسلمين فيه لا تجد إلا الضعف، والفقر، والتخلف، والاستضعاف[1].

- خلط المرجعية الإسلامية بالقيم والثقافات القبلية العشائرية التي لا ترابط بينها وبين هذه المرجعية، وأسوأ ما في هذا الخلط إقدام بعض المسلمين على ارتكاب بعض الأخطاء التي وصل بعضها حد الجرائم، ثم تنصيب أنفسهم قضاة يستحلون ما لم ينزل إليه به سلطان، ويصدرون أحكاما ليست من شرع الله في شيء، بل أنهم لا يتوزعون عن تنفيذ هذه الأحكام ظنا منهم أنهم يمتلكون القدرة على فهم الإسلام والتبرير منه، والتنفيذ لما شرعوه، ولو قاد ذلك إلى استرجاع منظومة قيمية كانت سائدة في فترة الجاهلية الأولى[2]، التي جاء الإسلام ليهدم كثيرا من عاداتها، وتقاليدها وأعرافها.

- الانتقائية في إظهار الالتزام بالمرجعية العليا، خاصة إذا فهمناها خطأ، أو أردنا أن نطوعها لتسويغ أهدافنا ومصالحنا، وذلك المسلك يعتبره محاضير ما يؤكد بعدنا كمسلمين عن الصراط

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 42.
2- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 40.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المستقيم، وأننا لا نعيش كما يأمرنا ديننا الحنيف، وإنما نأخذ من التعاليم الإسلامية ما يمكن أن نتخذه ذريعة لتبرير ما نسعى إليه من رغبات، ونطرح جانبا ما يبين أو يظهر خطأنا[1].

– الدور الفاسد لفقهاء السلطات، وفقهاء الاختلاف، وفقهاء الفتاوى الجامدة، وفقهاء التعصب المذهبي، وفقهاء التكفير والإخراج من الإسلام[2]، فكل هؤلاء يختلفون عن العلماء ذوى الورع والتقوى السابق إشارة محاضير إليهم، من حيث أنهم ادخلوا في الدين ما ليس فيه، ولووا أعناق أحكامه على غير مقاصدها، وأظهروا الإسلام حمالاً لأكثر من وجه، وأكثر من مذهب، ولم تجن الأمة من ورائهم إلا الانقسام وتسويغ الاستبداد، والظلم، وجمود الحياة، بدعاوٍ غير صحيحة، ومشوهة لأحكام الإسلام.

المطلب الثالث: تقريره لمبدأ "الإسلام نظام الحياة الشامل"

لم يشأ محاضير أن تستبد بنا حيرة الإجابة على السؤال الثاني وهو إذا كانت للإسلام المرجعية العليا لأمة المسلمين على النحو السابق توضيحه، فكيف يتحول هذه المرجعية إلى حقيقة معاشة في حياتهم؟ هنا ينطلق في إجابته على السؤال من اعتبار أنه لم يعطى للمرجعية فاعليتها ومصداقيتها، بل وتقبلها في الوجود البشري أن تصير نظام حياة، وشحقا عقيدياً وتشريعياً يستجيب بالتالي لكل ما في هذه الحياة من متطلبات، ويؤسس بالضرورة لما ينبغي

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 153.

2- Patricia Martines, 2001, *" Mahather,Islam and the new Malay Dilemma"*,in Ho Khai Leong and James Chin (ed), Mahather's Administration, Singapore: Times Book International,p.219.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أن تستقيم عليه – أي الحياة – من نظم وأنساق فرعية تنساب بيسر مرونة – دون تكلف – فإذا بها تلبي حاجات الناس على اختلافها، واختلافهم، مهما تقادمت بهم الأزمان، وتعددت بهم الأماكن.

هنا نلاحظ أنه وضع لنظام الحياة في الإسلام عدة ركائز ومنطلقات، في الوقت الذي أظهر حرص على أن يتبنى الفاعلية لهذه النظام على مجموعة من الشروط والضوابط، فما هي تلك الركائز،وعلى أي قاعدة أقام تلك الشروط؟

أ– أما الركائز والمنطلقات فقد عدد منها

1– إن هذا النظام "أسلوب يكفل للإسلام والمسلمين الاحترام والتقدير، ويحميهم من اضطهاد الآخرين، ويضمن لهم أن تتكون الحكومات الإسلامية ماهرة في إدارة شؤون الحكم، وتوفير ضرورات الحياة، وتسيير دولاب الحكم على نحو عقلاني وعادل، بما يكفل الريادة للمسلمين في مجال العلوم الدنيوية، ويمكنهم من استغلال الموارد التي حباهم المولى عز وجل إياها"[1].

2– إن هذا النظام لا يفصل بين الدنيا والدين، أو السياسة والدين، ذلك أن منطلق الفصل بين الكنيسة والدولة، وبين العلمانية والعقيدة في المسيحية غير وارد في نظام الحياة الذي يتأسس على الإسلام، ولكن لماذا؟ يجيب محاضير "لأنَّ الدين الإسلامي بطبيعته يُشكِّل

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 69.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

منهج حياة متكامل، وأي أسلوب حياة كهذا لا يمكن أن يقتصر على العبادة الصرفة وممارسة الطقوس الدينية فحسب"[1]، لكن هل يقبل الإسلام فهماً محدداً للعلمانية غير ما ذكره محاضير على النحو السابق؟ والواقع أنه يفرق بين نوعين من العلمانية[2]، **الأول** هو ما نقلناه عنه، ويؤكد من خلالهِ أنه يفصل بين الإسلام والحياة الدنيا، أو يفصل بين الإسلام الدين وبين الإسلام السياسة، فذلك ليس من الإسلام في شيء، أما النوع **الأخر** فيجعل العلمانية فيه مرادفة للأخذ بالعلوم الحديثة، بل الأخذ بأحدث ما في العلوم، واكتساب المهارات العالية في ذلك، وإجادة التعامل مع التقنيات المتطورة، بشكل يجلب الرفاه والسعادة للمسلمين، ويوفر لهم وسائل الدفاع عن النفس، وذلك لا يستبطن شيئاً يخالف التعاليم والأحكام الإسلامية على الإطلاق.

3- أنه نظام فضلاً عما سبق وسيلة لا يفصل بين الدنيا والآخرة، أو بين الدنيا الغائبة، والآخرة الباقية، ومن ثم لا يقبل بحال أن ينظر المسلمون إلى الدنيا على أنها متاع زائل وملك للكفار فحسب، لأن الله سبحانه وتعالى أعد للمسلمين الدار الآخرة التي لا تفنى، وبالتالي يجب عليهم أن لا يسعوا لكسب عرض زائل لتوسيع أرضهم، أو يجتهدوا لزيادة عددهم[3]، ويعتبر محاضير محمد أن الفهم الخاطئ للعلاقة بين الدنيا والآخرة بالمعنى السابق لا يمكن أن

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرم الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 151.

2- المرجع السابق. ص: 123- 124.

3- المرجع السابق. ص: 66.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

منهج حياة متكامل، وأي أسلوب حياة كهذا لا يمكن أن يقتصر على العبادة الصرفة وممارسة الطقوس الدينية فحسب"[1]، لكن هل يقبل الإسلام فهماً محدداً للعلمانية غير ما ذكره محاضير على النحو السابق؟ والواقع أنه يفرق بين نوعين من العلمانية[2]، **الأول** هو ما نقلناه عنه، ويؤكد من خلالهِ أنه يفصل بين الإسلام والحياة الدنيا، أو يفصل بين الإسلام الدين وبين الإسلام السياسة، فذلك ليس من الإسلام في شيء، أما النوع **الأخر** فيجعل العلمانية فيه مرادفة للأخذ بالعلوم الحديثة، بل الأخذ بأحدث ما في العلوم، واكتساب المهارات العالية في ذلك، وإجادة التعامل مع التقنيات المتطورة، بشكل يجلب الرفاه والسعادة للمسلمين، ويوفر لهم وسائل الدفاع عن النفس، وذلك لا يستبطن شيئاً يخالف التعاليم والأحكام الإسلامية على الإطلاق.

3- أنه نظام فضلاً عما سبق ويكمله لا يفصل بين الدنيا والآخرة، أو بين الدنيا الغائبة، والآخرة الباقية، ومن ثم لا يقبل بحال أن ينظر المسلمون إلى الدنيا على أنها متاع زائل وملك للكفار فحسب، لأن الله سبحانه وتعالى أعد للمسلمين الدار الآخرة التي لا تفنى، وبالتالي يجب عليهم أن لا يسعوا لكسب عرض زائل لتوسيع أرضهم، أو يجتهدوا لزيادة عددهم[3]، ويعتبر محاضير محمد أن الفهم الخاطئ للعلاقة بين الدنيا والآخرة بالمعنى السابق لا يمكن أن

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 151.

2- المرجع السابق. ص: 123- 124.

3- المرجع السابق. ص: 66.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يعيد للأمة مجدها، ولا للإسلام قوته وتمكينه، لأن تهوين الهدفين لا يتحققان، ولن يتحققا إلا بالسعي الجاد والدءوب والناجح في الدنيا، بمثل ما يعمل المسلمون لآخرتهم[1].

4- أنه نظام من حيث أنه لا يفصل بين الدنيا والآخرة لا ينبغي أن يعزل المسلمون أنفسهم عن الحياة، ولا أن تنعزل الحياة عنهم، بالتواكل، أو الانسحاب من السعي الجاد فيها، تحت أية دعوى، وبناء على أي ذريعة،فالاكتفاء بموقف المتفرج في الحياة، تعويلا على فهم خاطئ لنظام الحياة على أنه مجرد أداء للشعائر الدينية الواجبة فرضا، وتحصيل المعرفة الدينية التي تكسب ثواب الآخرة، يعطل هذا النظام ويجمده، ومن ثم لا يضمن والحال كذلك أن نحافظ على سلامة أنفسنا، والنجاة من التهلكة، وكيف يتحقق ذلك وقد تقاعسنا عن أن نتجهز بكل الضروريات الدنيوية، التي ندافع عن أنفسنا، ونرهب أعداءنا[2].

5- وهو أيضاً نظام حياة منفرد في طبيعته ومصادره وخصائصه، ومن ثم ليس نظاماً رأسمالياً مادياً خالصا،وليس نظاماً اشتراكياً، ويظل له قدرته الفائقة على الجمع بين الأمور المادية والأمور الروحية، ومهما حاول الغرب أن يتعاز بنا نحو مادية، فيجب أن نكون على وعي من أنه إنما يسعى من خلال ذلك إلى تمزيق صفنا، والتحكم في ثقافتنا وسياستنا واقتصادنا، لنصير شعوبا له مستعمرة مرة أخرى[3].

1- محمد، مخاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 102-103.

2- المرجع السابق. ص: 67.

3- Patricia Martines, 2001, *" Mahather,Islam and the new Malay Dilemma"*,in Ho Khai Leong and James Chin (ed), Mahather's Administration, Singapore: Times Book International,p..227

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

6- وهو نظام حياة كذلك يسمو فوق النزعة القومية الضيقة، و فوق النزعة العرقية الطائفية[1]، ويجد أفضل نموذج قدم له في التجربة النبوية الرائدة التي تحلى فيه المسلمون بالصبر والشجاعة والنظام والولاء لدينهم ورسولهم، أما أفضل نموذج معاصر لنظام الحياة في العالم الإسلامي فيجد في التجربة الماليزية المصداقية، من نواحٍ ثلاث[2]، فالإسلام مَكَّنَ الملايو من تحقيق وحدتهم اللازمة لأحداث التوافق السياسي مع غيرهم داخل المجتمع، وحقق التنمية الاقتصادية التي طالما سعت إليها الحكومة الماليزية، وحدد أولئك الذين يمكن اعتبارهم خارجين على النظام العام في المجتمع الماليزي، وخاصة تحت إدارة حكم محاضير ذاته.

ب- وأما الشروط والضوابط اللازمة لفاعلية نظام الحياة في الإسلام، أو للإسلام كنظام حياة شامل الأبعاد والوجهات، فقد أورد محاضير منها:

1- التعامل مع هذا النظام بمرونة قدر الإمكان للتناسب كون هذا النظام صالحا في كل زمان ومكان، وليس خاصا بزمان بعينه، أو بمكان دون غيره، ولكنها المرونة التي تتحقق بإحداث التوافق بين مبادئ الإسلام وروحه وقوانينه وبين واقع المسلمين وحاجاتهم، وليست المرونة التي تتجاوز هذه المبادئ وتلك الروح والقوانين، ولكنها في الوقت ذاته لا تقف عند الماضي،

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. صوت ماليزيا. القاهرة: دار الشروق. ص: 22.

2- Patricia Martines, 2001, *" Mahather,Islam and the new Malay Dilemma"*,in Ho Khai Leong and James Chin (ed), Mahather's Administration, Singapore: Times Book International,p.110 -111.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ولا عند التفسيرات المتزمنة لنصوص القرآن والسنة الصحيحة[1]، فيقع الناس في الحرج والضيق رغم اختلاف ظروفهم وملابسات حياتهم عن مثيلاتها التي جاءت هذه التفسيرات في سياقها.

2- تأسيس الفاعلية على العدالة قيمة وإجرائية[2]، فالعدالة المطلقة هي أساس الإسلام وتعاليمه، وإذا كانت هذا أول ما يجب الالتزام به والاتفاق بل والتوافق عليه، فإن الخطوة التالية لجعلها حقيقة أن يجتهد المسلمون في انجاز المسائل الإجرائية الكفيلة بتحقيقها، خاصة وأن هناك مؤشرات في الآيات المتشابهات والأحاديث الصحيحة على كيفية إقامة العدالة، وإقامة أسلوب إدارتها، بل لا يوجد في القرآن والسنة ما يمنع إنفاذ وتطوير الجوانب الإجرائية للعدالة.

3- بناء القوانين والتشريعات التي يحتاجها المجتمع لتطبيق شريعة الإسلام، وذلك على هدى من مبادئ مراعاة أكبر قدر من المصلحة للمجتمع والالتزام بالعدالة على ما سبق، وتمحيص القوانين والإجراءات القانونية بكل دقة وتمحيصها على ما جاء في القرآن والسنة، ومراعاة الظروف والملابسات وما يستجد من مشاكل في حياة الناس داخل المجتمع، وإعمال الشورى بين علماء الشرع وعلماء الأنشطة الإنسانية الأخرى، ومراجعة التشريعات باستمرار وإحداث

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 232- 236.

2- محمد، محاضير. يوليو 1996. كلمته الجامعة التي جاءت في سياق أعمال الحلقة الدراسية لإدارة القوانين الإسلامية. كوالا لمبور: المعهد الماليزي للفهم الإسلامي.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

التغيير فيها حسب مقتضى مقاصد الشريعة، وعدم اعتبار العصمة لأي تشريع، أو مشرع كائناً من كان[1].

4- كفالة أن يتعامل المسلمون وفق متطلبات نظام الحياة في الإسلام قدر تعاملهم به، إذا أرادوا أن يقبلوا على القرن الواحد والعشرين بعيون وعقول مفتوحة، وأن يكون لهم دور مؤثر في مجرياته[2]، ذلك أن الإسلام قادر على أن يكفل لهم أن يسهموا في تطوير الجنس البشري على نحو إيجابي من خلال وضع الناس على طريق الأمن والسلام، شرط احتفاظهم بعقيدتهم الصحيحة، وقيمتهم الروحية، والاستمساك بالأخوة الإسلامية الحقيقية.

5- الحرص على أن لا يتحول نظام الحياة إلى مجرد سلوك فردي يتعامل به كل مسلم وفق مصالحه الخاصة، دون أدنى اعتبار لغيره من المسلمين، فليس من الإسلام في شيء أن يفهم على أنه مجرد ممارسة لبعض العبادات والمعاملات، والاطلاع على المعارف والعلوم الدينية، أو تلقيها، أو الاستحواذ عليها كي تعود بالنفع على فرد واحد[3]، فذلك إذا كان يولد الأنانية في الإنسان المسلم فإنه يتعارض وينافي مفهوم الأخوة الإسلامية.

6- توفير المقومات الأصيلة لبعث نظام الحياة في الإسلام من جديد بين المسلمين[4]، ويدخل ضمنها وفي المقدمة منها: رصد الإمكانات والمقومات والأصول التي تملكها، وتفحصها، وبلورة الخطط والبرامج التي تمكن من تفعيل استخدامها باقصى طاقتها للارتقاء

1- محمد، محاضير.و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 51- 53.

2- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 208- 209.

3- Patricia Martines, op. cit,p. 220.

4- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 141.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

بمردودها، والاستعانة بالمصارات العالية في العالم الإسلامي، وجذب العقول النادرة التي هاجرت إلى بلاد الغرب، ثم الثقة في إمكانات النجاح بمشيئة الله.

المطلب الرابع: تقريره لمبدأ "الإسلام قيمة حضارية وأخلاقية"

ينقلنا محاضير محمد في حديثه عن القيم في الإسلام إلى وجه آخر من وجوهه الحضارية، وذلك أنه إذا كانت المرجعية العليا للإسلام بين المسلمين، وإذا كانت هذه المرجعية تتأسس على نظام حياة شامل لا ينعزل عن دنيا المسلمين وواقعهم، ولا يعزل هذه الدنيا عن آخرتهم، فإنه هنا يثبت لنا أن هذا النظام بدوره إنما ينهض على منظومة قيمية فريدة، ومن يمعن النظر في فكر محاضير محمد بصفة عامة لا تخطئه حقيقة أن القيم تتبوأ مكانة محورية ضمن سلسلة أفكاره المتعددة بل وتشكل رافداً مهماً لنسقه المعرفي الثري، والذي حرص فيه على أن يلصق بكل دائرة من دوائر فكره الخمس: الماليزية، والآسيوية، والإسلامية، والغربية، والإنسانية نمطاً من أنماط القيم، قد يراها المعرض بقاطعة أو متلاحلة، أو متدابرة أحياناً، وربما ملتبسة أحياناً أخرى.

لكن ما لا ينبغي تجاوز التسليم به في هذا السياق أن محاضير أوجد محطات تقف عندها كل دائرة بمنظومتها القيمية، وأنه أيضاً انتصر كثيراً لقيمه الماليزية، وقيمة الآسيوية، وقيمة الإنسانية، انتصاراً يقرب بينها وبين القيم الإسلامية إلى حد كبير، لأن الإسلام يقدم منظومته القيمية بشكل قَلَّ أن يتعارض مع قيم كهذه الدوائر، إن لم يضف إليها، ويضبطها.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

نقطة البدء التي أراد محاضير أن يصارحنا بها في موضوع القيم تأكيده أن القرن الحادي والعشرين يفرض- وتصاحبه- تحديات كثيرة، وأن السبيل الوحيد لمعالجة هذه التحديات-في رأيه- التمسك بالقيم الروحية، أخذا في الاعتبار تجارب مجتمعات إنسانية أخرى تخللت من قيمها الدينية، ففقدت توازنها، وأقعدها الإحساس بالضياع[1]، خاصةً بعد فشل الأيديولوجية التي وضعها الإنسان لتحل محل الأديان.

يعترف محاضير من ناحية أخرى بأن هذا القرن الحادي والعشرين، يحمل نذراً خطيرة في اتجاه العالم إلى المادية البحتة، والشرك بالواحد الأحد، والتمادي في تطوير أدوات الدمار الشامل، والاغترار بما وصل إليه من علم ومعرفة، والميل بالتالي إلى ما أسماه بالعجرفة والصلف[2] ويكرر مرة أخرى أن القيم الدينية والروحية نتيجة لكل تلك الشرور والمفاسد تزداد أهمية أكثر من أي وقت مضى، ولكنه هذه المرة يرى أن الإسلام هو القادر على أن يوفر للمؤمنين به، وغير المؤمنين القيم التي تكفل لهم السلم والخير والأرض[3]، مادام يرتكز على مصادره الصحيحة، لذلك لم يكن غريباً في نظر محاضير أن تكون رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في بناء المجتمع الإسلامي مبشرة بالالتزام بقيم الحياة التي تعامل البشر، بعيداً عن القمع، والعسف، والظلم، والاضطهاد، وطغيان الأغنياء على الفقراء، والكل القوي

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 112.

2- المرجع السابق. ص: 207- 208.

3- المرجع السابق. ص: 208.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

للضعيف، ووأد البنات، ومعاملة النساء كالقطيع[1] لذلك كان جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم لإقامة مثل هذا المجتمع عظيما، لأنه غرس ونشر هذه القيم لم تكن سهله في مجتمع عايش الجاهلية بكل ما كان ضمن مضادات القيم.

بل لم يكن غريباً أن يثبت محاضير أن رسالة الفاتحين المسلمين إلى الشعوب والدول التي فتحت على أيديهم كانت رسالة قيمية لا تسلطية أو سيفية، لذلك لم يكن مستعبداً أو مستهجناً أن غالبية من ارتضوا دين الإسلام من تلك الشعوب والدول دخلوا فيه طواعية، اقتداءً بما وجدوه في سلوك وقيم الفاتحين المسلمين، في الاستقامة، والمعاملة الحضارية، والالتزام بالتعاليم الإسلامية الصحيحة،[2] كما حدث في اسبانيا، وأوروبا في عهد الحكم الإسلامي في الأندلس.

يستعلي محاضير محمد بهذه القيم، وبراهنا المخرج والمنقذ لإنسان القرن الواحد والعشرين، لكنه إمعاناً في ذلك الاستعلاء يستهجن أن يفرض الغرب قيمه ونظمه السياسية والاقتصادية، أحسن من مثيلاتها في الدول الأخرى،[3] والسبب في ذلك يرجع إلى رؤية محاضير إلى تصور أن الرجل الأبيض –في عنصرية– أرقى من الرجل الملون، وأنه لذلك لابد أن يكون متفوقا دائماً، وذلك ما جعل الغرب غير قادر على استيعاب سخط دعواه في إن الآخرين لن يتقدموا إلا إذا صاروا مثله، وغير قادر كذلك على أن يقبل أن هؤلاء الآخرين

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 38.

2- المرجع السابق. ص: 211.

3- محمد، محاضير. و ايشيهارا، شنتارو. 1998. *صوت آسيا*. بيروت: دار الساقي. ص: 57.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لهم قيمهم التي يجب أن يسلم بها، وليس العكس، وفي القلب منهم المسلمون، والآسيويون، فماذا عن مصفوفة القيم التي يستنبطها الإسلام إذاً؟[1].

الإجابة التي قدمها محاضير محمد من الصعوبة أن نمسك بكل خيوطها، ليس لأنه لم يقدم مساهمته الواضحة فيها، وإنما لأن محاولة الإلمام بعناصر هذه المساهمة في مصادره الفكرية المقدرة، لا ينتهي بها باحث بمفرده، ويكفي هنا أن نشير لبعض عناصره، على النحو التالي، مع ملاحظة أن ترتيبها لا يعني أولوياتها عنده، فكل القيم تستدعي بعضها بعضاً، ويصعب الفصل بالتالي بينها:

1- قيمة الرحمة، فالإسلام يراعي الاعتدال والرحمة في تصريف شؤون العدالة، ويأمرنا أن نكون رحماء فيما بيننا، ورحماء ومراعين لحقوق الآخرين، رغم جعله الجزاء من جنس العمل، وأن العين بالعين، والسن بالسن، والبادي أظلم[2]، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل من سماته أنه غفور رحيم فإنه يريدنا أن نصير كذلك، لكننا لن نغفر ونرحم إلا إذا كنا متسامحين ومعتدلين، أما الرغبة في الثأر التي تحكم في الإنسان، والشعور بالانتقام، وإلحاق الأذى بالناس ليس من الرحمة والمغفرة في شيء.

2- قيمة التسامح، فهي جوهر الإسلام الذي يحميه سياج الاعتدال والعدل، والمسلم الحق هو الذي يتحلى بالسماحة بعيدا عن التطرف والتعصب، وليس هناك من طبق هذه القيمة

1- Mahathir Mohammad, *A New Deal for Asia, Malaysia*: (Kuala Lumpur: Pelanduk:Publications,1999),pp.11- 23,p 67-80

2- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 149-150.

3- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 12-13.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أعلى وأبقى من الرسول صلى الله عليه وسلم، في تسامحه مع ذوي قرابته الذين لم يؤمنوا به، وتسامحه مع الذين ارتكبوا بعض المعاصي، وتسامحه مع المشركين في صلح الحديبية، وتسامحه مع الأسرى، وتسامحه مع أهل مكة يوم فتحها.

أما ما يدعيه البعض من أن التطرف قيمة الإسلامية فذلك يعتبره محاضير خطأ، وليس من الصحة في شيء[1]، وينبئ عن سوء فهم وجهل بحقيقة الإسلام، وفضلا عما فيه من اعتبار خروج المسلمين بدعاوى أو ممارسات متعصبة، أو متطرفة ودليلا على التطرف في الدين ذاته، خاصة وأن آخرين غير مسلمين صدرت وتصدر عنهم مثل هذه الممارسات ولا ينسبها المسلمون إلى أديانهم.

3- قيمة السعة ورفع الحرج على الناس: وقد سبق القول أن الإسلام ليترك للمسلمين – إذا ما سكتت النصوص الشرعية قرآناً وسنة عن بيان الأحكام في بعض القضايا، أو وضع قواعد كلية عامة – رحابة الاجتهاد في الجمل الفسيح الذي تركته الشرعية ليحقق أكبر قدر من المصلحة للأمة والمجتمع، انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ

1- محمد، محاضير. 1996. *الإسلام الذي أسيء فهمه*. ترجمة: إبراهيم، عوض. ماليزيا: المركز العربي الأفريقي: سندريان برجد. ص: 50.

2- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق الدولية. ص: 12.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

العُسْرَ﴾[1]، وقوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا﴾[2]، ويُعَقِّبُ محاضير بعبارة ذات دلالة من القول "فليس الإسلام حملاً ثقيلاً لا يطيقه البشر"[3].

4- قيمة التوازن والوسطية، وقد سبق ذكر أن الإسلام، يؤسس لنظام الحياة على توازن بين الدين والدنيا، والسياسة والدين، والعلوم الدينية والعلوم الدنيوية، والاهتمام بالدنيا والآخرة، والربط بين الإيمان والعمل الصالح، وبين الفكر أو التنظير والحركة أو الممارسة[4].

5- قيمة السلام، فالإسلام دين السلام، والمسلمون يحيون بعضهم بعضا بالسلام، ويحيون غيرهم بالسلام، ويريد منا أن نكفل السلام للجميع[5]، إذا بادلوا المسلمين سلامهم بسلام مماثل، فإذا اعتدوا وبغوا فليس من السلام الاستكانة وعدم رد العدوان، دون التمادي بعدوان مماثل[6]، ولا يقدر في هذه القيمة في رؤية محاضير محمد أن تقوم بعض الفئات المسلمة ببعض الأعمال التي تنطوي على عنف أو إرهاب، لأن ذلك ليس من سلوك المسلمين وليس من دينهم، الذي لا إرهاب فيه بمعنى العدوان والقتل، ويذكرنا بأن الإرهاب إنما هو صناعة الدولة الأوروبية أولا، وليس من كسب أيدي المسلمين ابدا.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- القرآن. سورة البقرة 2: 185.

2- القرآن. سورة البقرة 2: 286.

3- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق الدولية. ص: 47.

4- منجود، مصطفى محمود. 2006. *رؤية محاضير محمد للإسلام*. في: *الفكر السياسي لمحاضير محمد*. القاهرة: برنامج الدراسات الماليزية.ص:108.

5- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 91.

6- المرجع السابق. ص: 107-109.

7- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 15-22.

6- قيمة الحرية والبعد عن الإكراه، ومنطلق هذه الحرية وأساسها أن "الإسلام دين عملي، ولم يقصد به أبدا أن يكون ديناً مفروض بالقوة، والقهر واتِّبَاعِهِ، وليس مقصوداً منه أن يكلفهم بما لا طاقة لهم به"[1]، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾[2]، ورغم ذلك فإنه في الوقت الذي يفرض فيه الإسلام هذه القيمة يتعرض المسلمون في بعض المجتمعات والدول الأخرى غير الإسلامية إلى القمع، والتنكيل، والوحشية، وبما يحدث من الصرب في البوسنة، وما يحدث من اليهود في فلسطين ليس ببعيد.

7- قيمة الأخوة الإسلامية[3]، التي دعت إليها تعاليم القرآن والسنة بوضوح لا يخفى على مسلم، وبموجبها يمتنع على المسلم الإضرار بأخيه المسلم، حتى في حال اختلاف الرأي بينهما، لأن هذه التعاليم تفرض على المسلمين التزام مخارج متعددة لحل ما قد ينشأ بينهم من اختلافات ومنازعات بالتشاور والتناصح، ويعلل انتهاك هذه القيمة - في رؤية محاضير - من اخطر الآفات التي أخرت بالمسلمين قديما وحديثاً، وحولت الرحم بينهم إلى تقاطع وتدابر، وتقاتل، وطائفية، ولذلك أعلنها صريحة وجريئة "كل محاولة لإضعاف وضرب القوة الإسلامية، وكل خصومة فاجرة وعنيفة في صفوفنا تمت لديننا بصلة".

8- قيمة العدل، وهي من القيم التي عدها محاضير من أوائل القيم التي [illegible] الكثير من القيم الأخرى، كالمساواة، والاعتدال، والتسامح؛ بل قد لا نكون مبالغين أن قلنا أن ما اعتبره

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 152.

2- القرآن. سورة البقرة. 2: 256.

3- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 65.

4- المرجع السابق. ص: 213.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

البعض من أن النموذج القيمي الإسلامي تعلوه قيمة العدل بعد قيمة التوحد، لا يتجاوزه محاضير، فأنت تجده يتحدث عن العدل تقريباً في كل مصادره، بل وتستطيع أن تجد هذه القيمة في الخلفية الفكرية والمعرفية في معظم السطور المدونة في تلك المصادر، فهو يذكر "أي شيء يخالف العدل ليس من الإسلام"[1]، "والإسلام شَدَّدَ على العدالة"، "وإن الإسلام يتفوق في العدالة عما سواه من الأديان، وأن القرآن يُشَدِّدُ على العدالة على نحو مكثف وفي كل موقع، ولا يمكن أن يسمح بالإتيان بما هو متناقض لمبادئ العدالة أو الإنصاف في كل زمان ومكان"[2] أكثر من ذلك، أن ينتهي إلى أن "هناك علاقة طردية بين العدالة والتنمية وأن مصلحة البلدان الإسلامية والمسلمين عامة تقتضي ايلاء قضية العدالة وأجهزتها اهتمام بالغاً"[3].

ولكن هل يمكن القول أن تحيزه الواضح لقيمة العدل كان السبب الجوهري وراء دعواه في أن تطبيق بعض الحدود الشرعية ينطوي على خرق العدالة[4].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص: 48-49.

2- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 237.

3- المرجع السابق . ص: 222 .

4- منجود، مصطفى محمود. 2006. *الإسلام والحركة السياسية في فكر محاضير محمد*. في: عبد الفتاح، سيف الدين. و عابدين، السيد صدقي(محرران). *الأفكار السياسية الآسيوية الكبرى في القرن العشرين*. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 248.

المطلب الخامس: تقريره لمبدأ "الإسلام دين الإنماء في كل زمان ومكان"

يمضي بنا محاضير محمد ليعرض رؤيته للإسلام كدين يدفع – بمرجعيته العليا، وبنظامه للحياة، وتنظيمه لها، وبنسقه القيمي– الإنسان إلى أعمار وجوده وإنمائه على هدى من تعاليم هذا الدين، لأنه دين يعتبر أن العالم بكل ما فيه لم يخرج – بحال – عن عمله، ولأنه ليس ديناً للعرب فقط، ولا ديناً للقرن السابع الميلادي فقط[1]، بل تنساب روافد عطائه لتتجاوز تلك الأزمان، وتلك الأمة لتسع الأزمان كلها، والأمم كلها أينما حلت.

ولذلك يعرض الإسلام على إتباعه والمؤمنين به أن يضعوا أيديهم على مناحي التغير التي يمكن أن تؤثر في حياة الناس ومعاشهم[2]، ولكنه من ناحية أخرى لا ينيط بهم لهذه المسئولية وهم قابعين منعزلين منسحبين من تلك لغيرهم، وأنه سبحانه أعد للمسلمين الدار الآخرة التي لا تفنى، وبالتالي ليس عليهم السعي لكسب عرض زائل لتوسيع أرضهم أو يجتهدوا لزيادة عددهم، وذلك مما سبق لنا ذكره.

ان هذا الفهم يقود إلى تصور أن الإسلام –والحال كذلك– إلى سبب التخلف والهزيمة، وتعطيل الحياة وليس انماؤها، وهي تهمة بعدما تكونا عنه، وقيمنا الحنيف بريء من هذه التهمة، وأن تفسيرنا الخاطئ وممارستنا المنحرفة هي التي تسببت في "محنة المسلمين"[3]، ومن غير المنطقي أن تكون عقيدتنا وشريعتنا –هكذا يرى– اللتين كانتا العامل الأول والأخير

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص:22.

2- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 213-221.

3- المرجع السابق. ص: 122.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

في تغيير حياة القبائل العربية المختلفة، هي نفسها سبب اضمحلال، وانهيار الحضارة الإسلامية.

إذاً ما السبب في التخلف؟ هنا يدفع محاضير بحقيقة تؤكد استفحال هذا التخلف في عالمنا الإسلامي مفادها أن الدول الإسلامية فقيرة ومتخلفة وضعيفة وغير متحدة، وتعتمد على غير المسلمين اعتماداً كاملاً في مختلف مناحي الحياة، بما في ذلك أسباب أمنها، واستمرار الإسلام فاعلاً في حياة المجتمعات[1]، ثم يقدم ذلك تغيرات متعددة لما أصاب المسلمين من وراء التخلف.

يأتي في مقدمة تلك التغيرات التأويلات الخاطئة للإسلام التي تقتضي حث علماء الأمة المتبحرين في الدين على العمل بجدية وإخلاص لدراسة الإسلام بتمعن وتقديم تفسير صحيح للأحكام الإسلامية[2]، وسببٌ آخر للتخلف يرجعه محاضير إلى الجدل الدائرين بين المسلمين حول الإسلام الصحيح، الذي أقعدنا عن ركب التطور في العالم، وما يحدث فيه من تحولات سريعة[3]، وسببٌ ثالث يكمن في الغفلة عن حقيقة الإسلام التي وأن جعلت القيام ببعض الأعمال من قبيل فرض الكفاية، فإنها جعلت القيام بالأخرى من قبيل فرض العين لبناء الأمة[4].

1- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 191.

2- المرجع السابق. ص: 188.

3- المرجع السابق. ص: 52-53.

4- المرجع السابق. ص: 149- 154.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وسببٌ رابع للتخلف صدر في رؤية محاضير محمد عن تلك الفئة التي تتنكر لدينها، وموقعه في الأمة، ويجد فيها العرب ضالته ليصنع من جهلها علماً، ويجعل من صغارها بستاناً، ويجعل منهم أبطالاً يحاربون ظلم الإسلام وتأخره[1]، والسبب الخامس تجسده عوامل عدم الاستقرار في البلدان الإسلامية من غياب الديمقراطية، وتعطيل استثمار الموارد والإمكانات والثروات، وسوء إدارتها وتنظيمها، وسوء معالجتنا للأيدلوجيات الجديدة والمفاهيم المستحدثة في العالم إلى آخره[2]، والسبب السادس يعود إلى التطرف الذي تزعمته بعض فئات المسلمين، فأوصلوا بلادهم إلى ما وصلت إليه من تخلف[3].

ويبقى سبب مهم للتخلف في إدارة الدول وتداخلها -بقصر نظرنا وعجزنا- في شؤوننا، والسيطرة على مواردنا الطبيعية[4]، واستغلالها مشاكل فقراء المسلمين، وتصدير إليهم عدم الاستقرار السياسي، والاضطرابات الاجتماعية، والواقع أن المقام لا يتسع لذكر أسباب أخرى فسر من خلالها محاضير حالة التخلف بين المسلمين، ولكن المؤكد بالنسبة إليه، والذي استنتجه من تلك الأسباب، من ناحية أن المسلمين مسؤولون عن تخلفهم وتدهورهم[5]، ومن ناحية ثانية أن الإسلام يملك أفاق واسعة لإخراجهم من ذلك بما يكفل الريادة في مجال العلوم الدينية والعلوم الدنيوية، التي تمكنهم من استغلال الموارد التي حباهم بها الخالق

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص:21.
2- محمد، محاضير. 2002. *الإسلام والأمة الإسلامية*. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر ص: 135.
3- المرجع السابق. ص: 177.
4- المرجع السابق. ص: 135-137.
5- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص:122.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

سبحانه، من أجل رفاهيتهم، ومد يد المساعدة للفقراء والمحتاجين والبؤساء من المسلمين وغيرهم، مما يجعل منهم نموذجاً لكل القيم النبيلة.

وتبقى ناحية ثالثة استنتجها محاضير محمد من نظره في أسباب التخلف، وهي تتعلق بمحاولته وضع مقدمات للخروج من أزمة التخلف الممسكة بتلابيب العالم الإسلامي، وكأنه هنا لم يعرض للخلل، ولم يبشر بالأمل في الخلاص منه، وكفى، بل حاول أن يسهم ببعض مما يجعل من ذلك الذي بشر به الحقيقة، فماذا عن تلك المقدمات؟.

1- إدراك "أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا م بأنفسهم"[1]، وذلك يقتضي أن نعقل الأمور ونتوكل على الله، ونصلح من شأننا بأنفسنا لمساعدة أنفسنا، ونثبت بالدليل العملي المقنع أن الإسلام دين عظيم لم يفرط في شيء وانه يجلب العظيم والنفع لمعتنقيه، وللبشرية جمعاء.

2- ربط الإنماء والتطور بالقيم في أسبابه، ومقاصده، ومجالاته[2]، فلا يمكن لمجتمع أن يزدهر أو يتقدم دون أن تكون له قدرة على تحقيق العدالة، والتاريخ يشهد على أن الإسلام أحدث التغير في الجاهلية الأولى وترابطت أجزاء المجتمع، وتقدمت أحوالهم وازدهرت بالعدل، فلما شوهت الأحكام الشرعية، ورفع العدل من بين المسلمين تحطت حضارتهم.

3- جعل قضية الإنماء الشامل قضية جهاد يتركز على دولة إسلامية قيمها من يتحلون بالعقلانية، والمهارة والكفاءة، والإلمام بالعلوم والتكنولوجيا، والخبرة في الصناعة والتجارة،

1-Khoo Boo Teik, 1996, Paradoxes of Mahathir Mohammad., *An Intellectual Biography of Mahathir Mohammad*, (Oxford: Oxford University Press), p.167.

2- محمد، محاضير. و ايشيهارا، شنتارو. 1998. صوت آسيا. بيروت: دار الساقي. ص:22.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والضلوع في السياسة والاقتصاد والاجتماع على **أن يملك هؤلاء صفات النزاهة، والتوازن** الروحي[1]، بمثل هذه الصفات لن يتوقع معها إلا خدمة الإسلام والمسلمين.

4- اتاحة الفرصة على قدم المساواة لكل عناصر المجتمع بمسلمين وغير مسلمين بممارسة الدور الفاعل في إحداث الإنماء، والارتقاء به، فالعدل يفترض المساواة بين الناس في تلك الممارسة، بصرف النظر عن معتقداتهم الدينية، وانتماءاتهم المعرفية، وماليزيا أوضح نموذج للتماسك الداخلي رغم تعدد أجناسها،وثقافات أهلها، ولولا هذا التماسك ما استطاعت تجاوز الأزمة 1997م والتوكيد على أن أي نموذج للإنماء والتقدم لا يمكن أن يحدث أثار في العالم الإسلامي بعيدا عن الدين" أن تنمية البلدان الإسلامية، وتحقيق الرفاء لشعوبها بقيادة حكومات صالحة، ونزيهة، تستظل بنظام قضائي عادل وفاعل، وغيره من الترتيبات الأخرى المتصلة بالأمور الدنيوية لا ينبغي أن تتقاطع وتتناقض مع الأحكام والتعاليم الإسلامية"[3].

5- التحلي بالصبر والمثابرة خلال عملية الإنماء، لأن الجهود لإعادة تأهيل المسلمين واسترداد قوتهم سوف تستغرق زمنا طويلا، ولأن الإنماء كعملية شاملة سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، يحتاج إلى استقرار سياسي، وكفاءة إدارية، وإتقان للعلوم الحديثة، وإمكانات مادية، وصناعات متطورة، وتطوير للقدرات الدفاعية، القادرة على حماية الأمة.

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 61.

2- المرجع السابق. ص: 109-111.

3- المرجع السابق. ص:123-124.

4- المرجع السابق. ص: 266.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

6- الاقتناع بإمكان تحقيق الإنماء في العالم الإسلامي داخل كل دولة[1]، وبعيداً عن تحقيق الوحدة السياسية الكاملة بين دولة كافة، على أن يتعامل الجميع بوصفهم أعضاء في الأمة الإسلامية، بعيدا عن الصراعات، والقلاقل وإشعال الحروب بينهم، ويمكنهم أن يجدوا في منظمة المؤتمر الإسلامي ضالتهم في التعاون والتآزر، ومساعدة الدول الفقيرة بين أعضائها - والمتخلفة على صعيد التنمية الاقتصادية والاجتماعية، دون التدخل في شؤونها - أي الدول الفقيرة - أو الاعتداء على استقلالها.

7- احداث الإصلاحات الضرورية لعملية الإنماء، الإصلاحات في فهم الأحكام الشرعية، وفي مواجهة متطلبات عصر المعلومات، وفي تصحيح الفكر وتقويمه عند بعض الفئات التي سقطت في براثن التعاليم التي ليست من الإسلام، فضلا عن إصلاح ذات بين المسلمين، بعدما أورثهم الاختلافات والانقسامات، موارد الاضطرابات والقصور عن إدراك وفهم تحديات القرن الواحد والعشرين[2].

المطلب السادس: تقريره لمبدأ "الإسلام عملية تجديدية دائمة"

ما كان محاضير ليظهر الجوانب السالفة في حديثة ورؤيته للإسلام بكل ما في كل جانب منها من استدعاء غزير للأفكار والاجتهادات انطلاقاً من اقتناع داخلي لم تكن تلمسه

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 207.

2- منحود، مصطفى محمود. 2006. رؤية محاضير محمد للإسلام. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص:112.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

من خلال مصادره سلام قوة أو طاقة قادرة على أن تجعل له المرجعية العليا، وتجعل منه نظام حياة شامل، وتجعل منه كذلك نسقاً قيمياً، ودين إنماء في كل زمان ومكان، على ما سبق، هذه القوة وتلك الطاقة مبعثها في رؤية حيوية الإسلام، وقابليته لأن يعطي للحياة دون انقطاع، بل وإن يكفل العطاء دون تحيز لفرد أو جماعة أو أمة أوتيت من مفاتيح العطاء وضوابطه ما يهيئ اكتشاف العطاء، وجنى ثماره.

فالإسلام على النحو السالف له، وفيه طاقة تجديدية متدفقة، ولذلك تأبى على الجمود، ويتأبى على أن يقف بالحياة عند حد العطالة، قد يقبل الاختلافات في وجهات النظر، لأنه اعتبر ذلك مما لا بأس فيه، ويؤدي إلى إثراء الدين، ما دام من ورائه حقيقة الإيمان[1]، ولعل هذا ما أدى بمحاضير محمد إلى إعلان صراحة في إحدى خطبة بأن"الإسلام لا يعوق التطور"[2]، وأنه بالممارسة العملية لا يشكل عقبة تحول دون التقدم والتطور والنمو، ولا يعوق اكتساب المهارات الإدارية العالمية وتطبيقها في حيزا الموقع، ولا يحرم مراكمة الثروة، ولا يمنع إعداد القوة الردع المفتدى[3].

ومن يرد الدليل على تلك البديهيات يجد محاضير إلى المشروع النبوي الذي أسس لحضارة عظيمة، فهم المسلمون الذين افتدوا به أن رسالتهم في هدى القرآن وسنته تستطيع

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص:146.

2- منجود، مصطفى محمود .2006 . رؤية محاضير محمد للإسلام . تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص:113.

3- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 171- 172.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أن تحقق الكثير، الأمر الذي قادهم إلى بناء دولة عظيمة تزخر بمعاهد العلم، والصناعات، والنشاط التجاري، وتقوم بتطوير الزراعة، لكن لماذا تقدم هؤلاء وتأخرنا؟

يجيب محاضير محمد: بأنهم تقدموا لأنهم جمعوا بين أمرين لازمين لاكتشاف البعد التجديدي في الإسلام، الأول إيمانهم بالإسلام ديناً، والثاني الاهتداء به في عملية التكيف مع الظروف السائدة في الدول التي خرجوا إليها شرقاً وغرباً، واستطاعوا أن يقيموا إمبراطورية عظمى[1]، أما لماذا تأخرنا؟ فيجيب محاضير لأننا لم ندرك لما حققه نظام الحياة في الإسلام على نحو ما يسلف الحديث عنه، ولأننا غير راغبين في قبول المستجدات، والتغييرات التي تحملها الأوضاع والتطورات الجديدة حولنا، ولذلك خسرنا المعركة، معركة التقدم لأننا عجزنا عن التكيف مع مقتضيات التغيير، مع المعارف والعلوم الحديثة التي كانت تقف وراءه، ورغم ذلك فهل ثمة أمل أمام المسلمين للانتباه على العصر، وهل يمكن أن يقدم لهم الإسلام ما يحفز هممهم للمضي في هذا السبيل؟

والإجابة تأتي واضحة، نعم بل "ثمة وسيلة لا تعوض أمامنا كي نختصر المراحل السابقة من جهودنا وتقليديتنا، ونختصر عصر الثورة الصناعية، ونتدخل مباشرة إلى عصر المعلومات، وإلى العالم المفتوح، وأن نصبح في المستوى نفسه مع الآخرين"[2]، ولكن سرعان ما يصدمنا محاضير محمد بحقيقة مؤلمة، حقيقة "أن الأمر يبدو أحياناً وكأننا على شك أن نضيع هذه الفرصة من بين أيدينا، كما ضيعنا من قبل فرصا أخرى مثلها، ثُمَّ جلسنا نبكي عليها، ونبدي

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 172.

2- المرجع السابق. ص: 164.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ندمنا حيث لا ينفع الندم"، لماذا تراوح الأمم هكذا الأمل و الرجاء وبين اليأس والقنوط؟

أغلب الظن لأنه رأى أن الأمة واقعة بين المنزلتين ومشدودة إليهما معاً ، لأنها تملك إمكانات التجديد، وتملك في الوقت ذاته معوقاته، فإما غلبت بإمكانات التجديد، وإما سقطت بمعوقاته والتجديد عند محاضير محمد يعني ما يلي:

1- أن التجديد سنة إلهية في الكون، مادام المسلمون يعملون بمقتضاها على نحو ما سبق من إحداث التغيير الذاتي المناسب وفقا لقوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم"[1]

2- التجديد سنة إلهية في المسلمين تحمل البشرى والأمل في إحداث النقلة الحضارية، التي يبتغيها كل مسلم، وينشدها الأمة، حين يقرأ الحديث النبوي "إن الله يبعث كل مائة سنة من يجدد للمسلمين أمرض دينهم"

3- التجديد من طبيعة التشريع الإسلامي لأنه - كما سبق - يفتح المجال للاجتهاد، والتغيير وفق هذا الاجتهاد في دائرتين، دائرة القواعد العامة في التشريع، والتي تحتاج التفصيل والتبويب، ودائرة السكوت عنه، والتي تحتاج التأصيل والتفصيل على هدى من أحكام القرآن والسنة، ومصالح المسلمين أفراداً، وجماعات، ودولا، ومجتمعات، بل ومصالح غيرهم أيضاً.

4- التجديد كذلك ضرورة حضارية، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وعليه لم يعد أمام المسلمين من خيار في التطور المعرفي والمعلوماتي والتقني المعاصر، إلا التكيف مع

1- محمد، محاضير. و إبراهيم، أنور. 1977. *صوت ماليزيا*. القاهرة: دار الشروق. ص:22.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

مقتضيات التغيير، أما الوقوف في وجه حركة التاريخ فسوف يعرضهم لمزيد من التخلف عن ركب الحضارة الذي كانوا رواده سابقا، خاصة وأن ثمة ثورتين تحدثان في العالم الآن، ثورة التكنولوجية وثورة العولمة، وهما ستفرضان، بل فرضتا على المسلمين شاؤا أم أبوا[1].

ثم إن التجديد فضلاً عما سبق سنة تاريخية، فقراءة التاريخ الإسلامي فيها الدروس والعبر، وفيها استراتيجيات ومناهج استخدمها المسلمون في التعامل مع عصورهم الممتدة، وصحيح أن الكثير منها قد تجاوزها العصر، لكن هناك مشاكل وتحديات يواجهها المسلمون في حقبتهم المعاصرة قد تجد جذورها في تاريخهم.

والمسلمون يملكون تراثاً في النهوض والتجديد وتاريخاً لا ينفد عطاؤه، يكفي القول أن صلى الله عليه وسلم الذي بعث أمياً استطاع أن يؤسس لنهضة انطلق منها العرب والمؤمنون به بعد الرسالة ليبنُوا منها إمبراطورية قوية شاسعة الجهلاء المتخلفون قبل الإسلام الأطراف[2].

ثم إن التجديد عمل اداري، والأمة الإسلامية رغم الضغوط الكثيرة تملك ضغوط هذه الإرادة التجديدية لإحداث التغيرات اللازمة للتكيف مع الزمن وحوادثه المحافظة في الوقت ذاته على دينها وأسلوبها في الحياة كما فعل المسلمين الأوائل[3]، وهذه الإرادة تفرض التفكير في

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص:162-163.

2- المرجع السابق. ص:172.

3- المرجع السابق. ص:166-168.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

حالة المتردية التي يمر بها العالم الإسلامي اليوم، والبحث عن الحلول المناسبة للمشاكل الفعلية التي يواجهها المسلمون.

ويبقى أن التجديد إذا ما انطلق من قيم الإسلام أضحى ضرورة عالمية، ولقد رأينا سابقاً كيف رأى محاضير محمد أن الأزمة القيمية التي أحدثها الغرب بفعل ماديته ونموذجه القيمي الفاسد، وكيف أن ذلك أوجد خواءاً وفراغاً أتاح فرصة للأديان لكي تتقدم بنموذجها القيمية وأنه على يقين من أن الإسلام دون غيره سد هذا الفراغ، والشرط الأساسي الذي وضعه في هذا السياق "أن تعكس بالدليل العملي لغير المسلمين روح الإسلام الحقيقي وجوهره"[1]، أي مضمونه القيمية.

تلك كانت بعض إمكانات الأمل في التجديد فماذا عن معوقاته؟ وإجابة محاضير محمد غير المباشرة أنها لا تختلف كثيراً عن معوقات المرجعية العليا للإسلام، ومعوقات نظام حياته، ومعوقات نموذجه الإنمائي، أما إجابته المباشرة، فقد صنف فيها من المعوقات:

1- الدعة والاسترخاء الذي يستبد بالكثير من المسلمين الذين يصرون على تعطيل نعمة التفكير، انطلاقاً من جمود هذا التفكير في الدنيا، وكما سبق توضيحه - ليست للمسلمين حتى لو تعرض المسلمون للظلم والعنت والقهر والإهانات في كل مكان، في الوقت الذي ارتضينا فيه العجز عن فعل أي شيء للدفاع عن الشرف والذود عن الإسلام[2].

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرم الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 220.

2- المرجع السابق. ص: 161.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

2- لتشديد على الذات وإيقاعها في الحرج حال التعامل مع الحياة وفيها، ويعبر محاضير عن هذا المعوّق ببلاغة "أننا نبدو كما لو كنا نتنافس فيما بيننا على إظهار مدى تمسكنا بالإسلام، حتى ولو أدى ذلك بنا إلى تحمل أشياء لا طاقة لنا بها، أو إلى الضغط على أنفسنا لأبعد حدود على الرغم من أن الإسلام دين يسر لا عسر"[1].

3- الالتفات إلى صغائر الأمور التي توقع المسلمين في الاختلافات العميقة والمستمرة[2]، وبدلاً من أن يتصدى المسلمون لقضايا: هل الإسلام يدعو إلى الحروب والعنف بين المسلمين؟ وهل يدعو إلى قهر الشعوب على أيدي الحكومات؟ وهل يدعو إلى تهديد استقرار الحكومات وقلبها؟ وهل يدعو إلى رفض الحياة الطيبة في العالم أو في الآخرة؟ دخلوا في قضايا مقدار طول اللحية، وطول الجلباب، فانقسموا واختلفوا في الدين.

4- التفسير المتسم بالضيق والضحالة للدين الإسلامي، والذي أقعد المسلمين عن متابعة المستجد في الحياة، وأوقفهم عندما يسمى بمعالجة التعاليم الإسلامية الصحيحة، وأخطر ما في ذلك ما تعلق بمسألة إعداد القوة، لردع أعداء المسلمين، ولصدهم عن العدوان، إذ توقف التفسير الضيق الضحل عند السهام والخيل [illegible] مع أن القرآني بإعداد القوة

1- منجود، مصطفى محمود. 2006. رؤية محاضير محمد للإسلام. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 115-116.

2- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 160.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

يتجاوز ذلك، لأنه أمر في كل مكان وزمان، ويتسع لأشكال الإعداد كافة[1]، قدر مواجهة التحديات المفروضة.

5- العلماء أو بالأحرى الجهلاء كما يفضل محاضير الذين أضروا الإسلام والمسلمين وأنفسهم بالفتاوى غير الصحيحة[2]، والذين تفاقم دورهم المفسد مع اقتناع بعض المسلمين أنهم فوق الشبهات، وعدم الاعتراف بمكانة العلماء المخلصين الذين لا يخلو عصر من عصور المسلمين منهم، ولا يستغنى عنهم، لا يخلع على أي منهم العصمة، وأنه يجوز عليهم الخطأ والنسيان، وأنهم قد يصدر عنهم ما يخالف الدين والعقل وواقع المسلمين.

المطلب السابع: تقرير المبدأ "الإسلام مرشد الحركة السياسية"

يتعرض محاضير محمد في بيانه لهذا الوجه الأخير من وجوه الإسلام لأبعاد تأثيره في قضية إدارة العملية السياسية بين الحكام والمحكومين، وفق ظروف هذه العملية المختلفة، وطبيعة الواقع السياسي اليومي الذي تمارس فيه، وبما يفرضه من أساليب وأشكال مختلفة لمجريات العملية السياسية، بقطبي الوجود السياسي، والاستقصاء المعرفي لهذه الظاهرة السياسية يظهر لنا أن الإسلام في علاقته بالحركة السياسية حين يرشدها، ويوجه مسارها، لا يأخذ شكلاً واحداً في دوره

1- محمد، محاضير. 2002. الإسلام والأمة الإسلامية. تحرير: مكرو الدين، هاشم. دمشق: دار الفكر. ص: 121.

2- المرجع السابق . ص: 121-122.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

هذا، وإنما يتوقف الترشيد والرشد على موقع الإسلام أصلاً من هذه الحركة، وقد أمكن لنا في موضع سابق استنباط عدة صور هي[1]:

– الإسلام والتعانق مع الحركة السياسية، وفي هذه الصورة يبدو ترشيد الحركة مرادفا لانضوائها الكامل لأحكام الإسلام، وتصبح بالتالي عملية الترشيد لازمة، وداخلة في كل أبعادها المتعددة، بحيث لا تقبل انفصاماً عن الحركة، ولا تقبل لحركة بالتالي الانفلات عن ترشيد الإسلام وتوجيهه الكاملين لها في بدئها، ومسارها، وانتهائها، وقد عدد محاضير لهذه الصورة سمات منها وجود مرجعية عليا ومتفردة ونهائية للحركة السياسية، والاعتراف بمكانة الفقه والفقهاء في استخراج الأحكام الشرعية من القرآن والسنة اللازمة لإدارة الحركة وترشيدها، والاعتراف بدور غير المسلمين في الحركة، وسيادة القيم الإسلامية الأصيلة في الوجود السياسي، ووضوح مفهوم الأمة الواحدة القوية، وتطبيق أحكام الشرعية الإسلامية بالعدل والإنصاف.

– الإسلام والتعايش مع الحركة السياسية القائمة، وفي هذه الصورة ينحسر دور الإسلام عملية الترشيد والتوجيه للحركة، ورغم التسليم بإمكان وجود قدر من التقبل بينهما إلا أن هذا التقبل لا يصل حد التطابق كما في الصورة الأولى وإنما يفرض أن يكون للإسلام نطاق في إدارة الحركة وتوجيهها في بعض أوجهها، ودون الوجوه الأخرى، ويضيق هذا النطاق ويتسع حسب المساحة الإلزامية التي ترتضيها الحركة لتدخل الإسلام فيها.

1- منجود، مصطفى محمود. 2006. رؤية محاضير محمد للإسلام. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 117.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وهذه لها أيضاً سماتها في سيادة حكم المسلمين القوي الذي ينعم في ظلاله المسلمون وغيرهم، بفعل اعتبار الإسلام الدين الرسمي في المجتمع، وتوكيد النهج الديمقراطي في الحركة، اتخاذ بعض التدابير الأسلمة في الحياة، والحركة السياسية، واستيعاب القيم الإسلامية الأصيلة، والسماح للحركات السياسية ذات التوجه الإسلامي بالتعبير عن نفسها في مواجهة الحكم القائم، ومسئولية التنظيم السياسي القومي في ماليزيا في تحقيق التعايش بين الإسلام والحركة[1].

- الإسلام وتغيير الحركة السياسية، وفي هذه الصورة يرادف الترشيد تجاوز الحركة من مجرد المعايشة إلى البحث الإزالة والانتقال بها إلى طورٍ آخر لم تعهده من قبل، بعد أن بات أن إمكانات تعانقها، أو تعايشها مع الإسلام لا مجال له، بصرف النظر عن دواعي التغيير وأسبابه سواء لأن الحركة تعرضت لمستجدات أخرجتها من طورها القديم، أو لأن ثمة خللاً أصابها وأبعدها عن طورها الطبيعي.

وقد أخذ محاضير بالأمرين معاً وعدد إجمالاً من أسباب تغيير الحركة السياسية ضرورة إصلاح حال المسلمين، وتزايد مد الصحوة الإسلامية، وظهور الكثير من المشكلات المستحدثة، وتشعب وتعقد قضايا الواقع المعاصر، والحالة المزرية للمسلمين، واستشراء أنماط جديدة من الممارسات الخاطئة الجرائم التي لم يعهدها المسلمون من قبل.

- الإسلام والاستئصال الحركة السياسية، وفي هذه الصورة لا يقف ترشيد الإسلام الحركة مرادفاً لتغييرها، فقد يغيرها ليعيدها إلى جادة الطريق، وقد يغيرها سلما، وقد يغيرها لأن خللاً

1- منجود، مصطفى محمود. 2006. *رؤية محاضير محمد للإسلام*. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 117.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

أصاب بعض عناصرها، وإنما يمتد الترشيد ليزيل الحركة دون هوادة، أو تراجع، حتى وإن تأبت على ذلك، لأنها لم تترك أي خيار آخر لابتعادها الكلي عن الإسلام سوى الاقتلاع، ولكي تكون عملية الاقتلاع شرعية وضع لها محاضير بعض الضوابط مثل فشل محاولة إثنائها عن تماديها في الخروج عن الإسلام، وأن يكون الاستئصال نهائيا بحيث لا يتيح لها إمكان الفاعلية، وأن تقام عليه الحجة في انتهاكها لأحكام الإسلام، وأن تصدر هذه الحجة بعيداً عن السلطة السياسية، وقد اتخذ محاضير محمد نموذجاً لهذه الحركة في استئصال الحركة التي صاحبت مواقف نائبه السابق أنور إبراهيم.[1]

- الإسلام والإستبراء من الحركة الإسلامية، وفي هذه الصورة يأخذ الترشيد للحركة معنى سلبياً من حيث لا يملك أيًّا من التأثير الإيجابي الفعال المصاحب لكل الصور الأربع السابقة، لأنه لا يقدر على الحركة أصلاً، لأنه خارج عن نطاق التمكن منها، والظهور عليها، أو السيطرة، هنا يصبح الإستبراء من الحركة أضعف الإيمان في تحديد الموقف منها، ومن أمثال هذه الحركة أية الحركة السياسية تصف [illegible] بالأصولية المرادفة للتزمت أو الرجعية أو التخلف، وأية حركة يقودها من يرادف بين الإسلام وبين الإرهاب، وكذلك أية حركة تجعل الإسلام رمزاً للتطرف والتعصب، فضلاً عن أية حركة تُروِّج لآمال وطموحات عولمية

1- منجود، مصطفى محمود. 2006. رؤية محاضير محمد للإسلام. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 117-118.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

ترادف الهيمنة، وإزالة الخصوصيات، وتهدم ثوابت الدين والقيم، وتتعارض من ثَم مع عالمية الإسلام[1].

وأخيراً يمكننا القول بأنه لم يكن غريباً أن يطوف بنا محاضير محمد في دهاليز كثيرة حول رؤيته للإسلام، وكأنه أراد أن يكون صادقاً مع نفسه من ناحية، وصادقاً مع المعطيات التي فرضت عليه، فماليزيا دولته جعلت الإسلام رائد دستورها، وأحد روافد الخبرة التاريخية فيها، وأحد مصادر التكوين الديني لمجتمعها، فضلاً عن أنه لم يتردد عن الحديث عن قدرته على الحديث في الإسلام والاجتهاد فيه، خاصةً وقد خلع عليه طوال فترة ولايته رئاسة الوزراء في ماليزيا الشرعية.

بيد أن الانطباع الأول الذي يمكن أن يستبد بكل من يقترب من رؤيته على نحو ما تم توضيحه بصفحات البحث السابقة عن رؤية محاضير محمد للإسلام هو سيطرة الخبرة الفكرية والذهنية وتداعي الأسئلة وعلامات الاستفهام.

فإذا كان محاضير محمد يملك رؤية واضحة عن الإسلام في الجوانب التي شكلت موضع هذا المبحث، فلماذا بدت تجربته في الحكم عنه الكثيرين آخذوه وانتقدوه، واختلفوا معه وكأن بينه وبين رؤيته هذه بوناً شاسعاً خاصةً، وأنه اعترف بأن الأنسب إلى ماليزيا أن تتعايش بالإسلام ومعه، لا أن تحكم به، وتقاد، انطلاقاً من اعتباره أن الدولة

1- منجود، مصطفى محمود. 2006. رؤية محاضير محمد للإسلام. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 118.

2- المرجع السابق. ص: 118-119.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الرسمي، الذي يسلم بوجود عقائد أخرى، تقف على قدر المساواة في أخذ الفرصة داخل ماليزيا، لماذا حَجَّمَ دور الإسلام؟ ولماذا استعدى بعض الحركات والأحزاب الإسلامية في ماليزيا، على سبيل المثال لا الحصر توقفيه لحزب.

علاوةً على ذلك يتساءل العديد ممن انتقدوه عن زجه بالإسلام وعدم الاحتكام إليه في استئصاله لنائبه السابق انور إبراهيم؟ وكيف أقام تجربته التنموية على المادية الغربية، واقتصاد السوق، وهو الذي أكد أن نظام الحياة في الإسلام ليس رأسمالياً أو اشتراكياً؟ وكيف تحدث عن الحكام الصالحين المخلصين، وقد تسلط في ممارسته أحياناً أثناء فترة حكمه ويستدل منتقدوه في ذلك بالكثير من الشواهد منها: أنه القى القبض على قيادات المعارضة عام 1987 وعطَّل عمل أربعة صحف بالبلاد، في الوقت الذي لم يعترض فيه على وصول "الحزب الإسلامي الماليزي" إلى السلطة في ولايتي كلنتان، وترينجانو، عن طريق الانتخابات، إلاَّ أنه في الوقت نفسه تدخل لمنع الحزب من تعميق عمله داخل نسيج المجتمع الماليزي، كم قام محاضير محمد بتعديل اختصاصات المحكمة العليا وإغلاقه لبعض الصحف التي ساندت المعارضة أثناء أزمة الصراع داخل حزب أمنو العام 1998 وقراءته مع نائبه السابق أنور ابراهيم العام 1998 وكان كل هذا وغيره سبباً لوصفه بالتسلطية[1].

1- منجود، مصطفى محمود. 2006. رؤية محاضير محمد للإسلام. تحرير: سليم، محمد السيد. الفكر السياسي لمحاضير محمد. القاهرة: مركز الدراسات الماليزية. ص: 119.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

المبحث الثالث: رؤية محاضير محمد للتنمية

تشغل قضية التنمية حيزاً متنامياً من شواغل العديد من المحللين السياسيين وذلك نظراً لما تمثله من أهمية حيوية في تحديد مسار العديد من دول العالم الثالث الساعية للحاق بركب التقدم ومواكبة العديد من المستجدات على الساحة الدولية.

ومن هذا المنطلق أثارت قضية التنمية جدلاً واسع النطاق في كثير من البلدان حول الأطر المناسبة لهذه العملية خاصة فيما يتعلق بمدى ملائمة إطار سياسي معين لتحقيق هذه التنمية على كافة المستويات.

وفي إطار هذا السياق مثلت منطقة شرق آسيا مجالاً خصباً لاستجلاء طبيعة ونتائج هذا الجدل الفكري الذي تمحور بالأساس حول تداعيات التنمية والاقتصاد الحر على ممارسات النظام السياسي وما يتطلبه هذه التطورات من التوجه نحو مزيد من الليبرالية السياسية.

ومن هذا المنطلق لم تكن ماليزيا كأحد النمور الآسيوية بمعزل عن هذه الإشكالية التي تبدت بشكل جلي عبر فكر قيادتها السياسية ممثلة في محاضير محمد الذي استطاع عبر ثلاثة عقود أن يبلور فكرا متميزا وواضح المعالم والقسمات حول سُبُل وآليات التنمية في ماليزيا تلك الدولة التي شهدت طفرة تنموية واسعة النطاق في ظل قيادة محاضير محمد لها الذي يعد بحق مؤسس النهضة التنمية الماليزية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لقد أكد محاضير محمد في ماليزيا محورية دور القيادة في صياغة استراتيجيات التنمية بصفة عامة خاصة فيما يتعلق بإدراكها للبدائل المتاحة وذلك من خلال اختيارات عقلانية موائمة لكل من الواقع الاقتصادي والسياسي للبلاد، وعلى هذا النحو تبدت في ماليزيا من خلال قيادة محاضير محمد أهمية هذه الشخصية في تحديد الخيارات السياسية الملائمة للواقع الماليزي الذي يتسم بخصوصية فردية من نوعها حيث تتعايش في إطاره مجموعة من العرقيات في ظل تعددية أثنية كثيراً ما مثلت تهديداً للخطط التنموية.

هذا وقد جسد فكر محاضير محمد التنموي في ماليزيا ما أكدته الأدبيات الغربية المعاصرة إمكانية القيادة أن تغير مسار وتاريخ دولة بأكملها[1]، فالتحولات الكبرى على غرار ما حدث في ماليزيا فعادة ما يقوم بها "قادة أقوياء" يلتزمون بالتغيير وذلك من خلال تحديد التوقيت والنهج المناسب لبدء التحول وهو ما نجح محاضير محمد في إنجازه بحيث شغل موقعاً متميزاً بين القيادات التي حققت طموحها التنموية المرجوة.

ومن هذا المنطلق يركز هذا المبحث على استجلاء رؤية محاضير محمد للتنمية بمختلف أبعادها في ماليزيا وهي الرؤية التي نقلت ماليزيا إلى مصاف النمور الآسيوية وأن واجهت

-1-G.Dror, 1994, " Visionary Political Leadership", International Political Science Review. pp.7-22.

2- Kenneth Bauzan, 1992, Development & Democatization in The Third World,(Washington D.C. Cran Russak, pp. 8-10.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

العديد من الانتقادات الغربية التي لم ترى في التجربة الماليزية وفي فكر محاضير محمد "النموذج الشرق آسيوي المثالي للتنمية"[1].

هذا ويتطرق المبحث إلى سبر أغوار رؤية محاضير محمد للتنمية على كل من الصعيد الاقتصادي والسياسي والثقافي، وذلك من خلال المحاور الاقتصادية والسياسية، والثقافية.

المطلب الأول: محاضير محمد والتنمية الإقتصادية

ركز محاضير محمد على جملة أبعاد اقتصادية أساسية للتنمية يمكن إجمالها فيما يلي:

1- أولوية التنمية الاقتصادية:

تمكن محاضير محمد من بلورة رؤية واضحة للتنمية الاقتصادية في إطار قناعته أن التنمية ذات جوانب متعددة ومتداخلة، حيث يتشابك ويتفاعل مختلف عناصرها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية[2]، بيد أنه برغم إدراكه لهذا الأمر إلا أنه أكد بشكل قاطع أولوية التنمية الاقتصادية و أهمية ما أسماه بضرورة إرساء دعائم قاعدة التصنيع في ماليزيا وذلك من خلال الاستفادة بعمالة غير باهظة التكلفة قادرة على اجتذاب الكثير من الاستثمارات، وقد ظلت ماليزيا لفترة طويلة دولة مصدرة للمواد الأولية مثل المطاط

1- مينيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 70.

2- المرجع سابق. ص: 70-71.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

والقصدير بيد أنه كان لمحاضير محمد تطلعات تنموية أكثر اتساعا تمكن من خلالها من تحقيق هذه الطفرة التي تبدت بواكيرها مع بداية السبعينيات ثم ما لبثت أن تبلورت ملامحها واتسع نطاقها خلال الثمانينيات والتسعينيات.

تمثلت أهم طموحات الرؤية التنموية لمحاضير محمد على الصعيد الاقتصادي أن تلحق ماليزيا بركب الدول الصناعية الجديدة مؤكداً أهمية الاعتماد على القطاعات الأساسية في ماليزيا لتحقيق النمو وخلق فرص للعمل، رأى محاضير محمد في فترة مبكرة أن المحرك الرئيسي للتنمية الاقتصادية في ماليزيا يتمثل بالأساس في تصدير عدد من الموارد الطبيعية مثل المطاط وزيت النخل و القصدير و الأخشاب و البترول، بيد أنه في مرحلة تالية سرعان ما أكد على ضرورة أن تحول ماليزيا اهتمامها إلى زيادة كفاءتها الصناعية وهو ما تحقق بالفعل خلال الخطة الماليزية الرابعة (1981-1985) حيث تضاعفت خلالها قيمة الصادرات من2،4 بليون دولار عام 1980 إلى 7،4 بليون دولار عام 1985.

حرص محاضير محمد في مرحلة متقدمة على أن تكون ماليزيا كقاعدة قابلة للنمو وعلى قدراتها التصديرية ليس فقط استنادا إلى موارد طبيعية بل واعتماداً على إمكاناتها التصنيعية التي تؤهلها لتصدير الإطارات ومنتجات المطاط الصناعي الدقيقة والأثاث، وفي هذا السياق أَكَّدَ محاضير محمد على ضرورة التركيز على التصنيع الموجه للتصدير مع ايلاء الاهتمام لتطوير الصناعات ذات الأولوية التي يتم اختيارها على أساس

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

الميزة التنافسية العالمية و تطور القوى العاملة و اكتساب قدرات تكنولوجية معينة و ذلك في إطار إعرابه عن ضرورة تميز ماليزيا صناعياً بحيث لا تكتفي فقط بعمليات التجميع.

هذا وقد تبلورت رؤية محاضير محمد بشأن التنمية الصناعية في ماليزيا من خلال تشجيع الصناعات الكثيفة العمالة وذلك للحد من البطالة في البلاد وهو ما تحقق بالفعل حيث أشار إلى نجاح العمالة الماليزية في اكتساب العديد من المهارات التصنيعية والإدارية والتسويقية[1].

لقد تحققت الرؤية التنموية لمحاضير محمد عبر ولوج ماليزيا لعدد من الصناعات الحديثة القادرة على المنافسة في السوق العالمية، كما لم يجد حرجاً في الاقرار بسماح الحكومة لعدد من الصناعات بملكية أجنبية كاملة.

وعلى هذا النحو شجع محاضير محمد رفع شعار "ماليزيا المتحدة" الذي حرص من خلاله على تقديم تيسيرات وخدمات للقطاع الخاص المحلي والأجنبي وذلك برغم عدم إغفاله أهمية القطاعات الأخرى التي تسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية في ماليزيا، وعلى نفس الصعيد نادى محاضير محمد بتوثيق العلاقات مع قطاع الأعمال وذلك من خلال رفع شعار "الصداقة مع الأعمال" لجذب مزيد من الاستثمارات التي مثلت أهم شواغل القيادة

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 70.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

السياسية وذلك في ظل اعتراف محاضير محمد بأهمية دور القطاع الخاص الذي تضاعف أرباحه من الريع الحكومي من ضرائب والذي يعد بدوره أحد المصادر الأساسية للتنمية.

2- ضرورة اقتران التنمية بالمساواة:

أكد محاضير محمد ضرورة ارتباط التنمية الاقتصادية بتحقيق المساواة بحيث أسبغ أهمية خاصة على هذه العلاقة التي ارتأى استحالة انفصام عراها خاصة في ماليزيا التي تتسم بتعددية عرقية ودينية بشكل كبير، إذ يشكل السكان الأصليون أو ما يعرفون باسم "بوميبوترا" الغالبية الكبرى للسكان ويشكلون مجموعة عانت فترات طويلة من تدني مستواهم الاقتصادي مقارنة بقية السكان من كل من الأقلية الصينية والهندية التي استأثرت بنصيب كبير من عوائد التنمية.

من هذا المنطلق التزم محاضير محمد بأهمية التنمية الاقتصادية بيد أنه سعى إلى اتخاذ التدبير التي ارتآها تكفل المساواة بين مختلف الجماعات العرقية وهو الأمر الذي لم يلق استحسانا من قبل دوائر الغربية نظراً لاختلاف المرجعية الفكرية لكل منهما حيث أوضح محاضير في كثير من المناسبات تبني الغرب للفكر الداروينى الذي يرى البقاء للأقوياء وللأصلح دونما مراعاة لأوضاع الأقل حظاً في الثراء، هذا و قد تبد جلياً حرص محاضير محمد على تحقيق التنمية في ظل قدر من المساواة من خلال حرصه على أن يتمتع الملايو بوضع اقتصادي يتناسب مع تعدادهم في ماليزيا.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

من جانبه حرص محاضير محمد على التأكيد على أن هذه السياسة لم يتم تطبيقها على أساس انتزاع جزء من ثروة الأغنياء لصالح الفقراء بقدر ما قامت على أساس تخصيص قسط أكبر للملايو أو المواطنين الأصليين من كعكة اقتصادية حرص محاضير محمد على تنميتها، لقد أدرك رئيس الوزراء الماليزي مخاطر استئثار الأقلية الصينية بأكبر قدر من عوائد التنمية وهو ما تجلى عبر التوترات والصراعات العرقية عام 1969 ثم تطبيق قانون الطوارئ حتى استقرت الأوضاع أثر تطبيق السياسة الاقتصادية الجديدة التي توصل من خلالها إلى إرساء دعائم التنمية في ماليزيا خلال العقدين التاليين.

وقد أثمرت هذه الخطة مع عام 1990 عن تحقيق طموحات القيادة بشأن الارتقاء بوضعية الملايو حيث ارتفع نصيب هؤلاء من الثروة بالفعل وشغل هؤلاء أكثر من نصف عدد الوظائف الحكومية بحيث بلغ عدد الوظائف التي شغلها الملايو مع بداية التسعينيات حوالي 1،3 مليون وظيفة"، كما تضاعف نصيب مختلف المؤسسات بحيث لم تود رؤية محاضير محمد التنموية التي راعت التوازنات العرقية إلى إثارة أي منازعات وهو الخطر الذي حرص رئيس الوزراء الماليزي على تجنبه في مجتمع متعدد الأعراق.

3- محاضير وموقع الاستثمار في التنمية:

في إطار تنامي طموحات القيادة السياسية الماليزية على الصعيد التنموي أولى محاضير محمد اهتماماً خاصاً بضرورة تشجيع الاستثمارات الوطنية وجذب الأجنبية كمحرك أساسي

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

لعملية التنمية"[1]، وذلك عبر إرسائه لدعائم الهيئة الماليزية للتصنيع التي اضطلعت بمسؤولية تنسيق التقدم الصناعي في ماليزيا في ظل تأكيدها على صدارة موقع القطاع الخاص من أجل حفز التقدم الاقتصادي والتأكيد على العلاقة الوثيقة بين الإدارة والقطاع الخاص.

من جانبه حرص محاضير محمد على اتخاذ الحكومة لمجموعة من الاجراءات لتوفير بيئة موائمة للاستثمار من خلال ما عرف ب"قانون تنمية الاستثمار" وإنشاء صندوق الاستثمار الجديد الذي قام دعماً لتمويل القدرات الإنتاجية في عدد من المجالات التصنيعية، وادراكاً منه لأهمية التخلص من التعقيدات الإدارية حرص محاضير محمد على توفير قدر من المرونة في القوانين الخاصة بهذا المجال وذلك لاجتذاب مزيد من الاستثمارات

ولعل مما يذكر أنه أولى أهمية خاصة لهذا الشأن خلال الأزمة الاقتصادية الطاحنة عام 1997 حيث أعلن صراحة عن ضرورة المرحلة التي تمر بها ماليزيا والتي أدت إلى تراجع ملحوظ في معدلات النمو وارتفاع نسبة البطالة، وهو ما استوجب وفقاً لرؤيته ضرورة التركيز على "كيفية صنع الثروة – أكثر من توزيعها".

وقد تبين لمحاضير محمد إمكانية قيام ماليزيا بدور فاعل من خلال استقطاب الاستثمار الأجنبي إليها في إطار تميز عمالتها بالرخص النسبي، ولذلك حرص على تهيئة قاعدة للتصنيع ذات العمالة غير باهظة التكلفة،ولحفز هذه السياسة حرص محاضير محمد

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 72.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

على أن تمنح الحكومة فترة إعفاء ضريبي لمدة عشر سنوات لمختلف المشروعات الصناعية مع تذليل كامل للعوائق البيروقراطية.

وفي هذا السياق نجحت القيادة في القضاء على ظاهرة البطالة في ماليزيا بعد أن أثبتت العمالة الماليزية قدرتها على المنافسة وذلك في ظل سياسة ناجحة للتنمية البشرية أدت إلى اكتساب الماليزيين مهارات تصنيعية وإدارة المنشآت، و على نفس الصعيد لم يهمش محاضير محمد دور الدولة في التنمية بصفة عامة وفي عملية التصنيع بصفة خاصة بحيث حث على إنشاء صناديق لدعم بعض الصناعات إضافة إلى حفز البنوك على تقديم الدعم لها، ويذكر أن محاضير محمد حرص على منح مختلف قطاعات الصناعة الماليزية للاستثمار الأجنبي[1]، إلا أنه ربطه بشرط تحقيق الانجاز التصديري، و هو ما يشير إلى حرصه على التوظيف الجيد لهذا الاستثمار، وعلى هذا النحو شكل هذا الاستثمار حوالي ثلث الاستثمار الخاص في ماليزيا.

وبرغم توجه أكثر من نصف الاستثمار الأجنبي في ماليزيا إلى قطاع الصناعة إلاّ أن محاضير محمد أولى اهتماماً بقطاع الخدمات أيضاً وهو ما تبدى عبر خطته الطموحة التي

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 73.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أعلنها في منتصف التسعينيات من خلال إرساء مشروعات عالية التقنية تستهدف على حد قوله "تحول ماليزيا 2020 إلى المجتمع الرقمي"[1].

4- صياغة استراتيجيات التنمية الاقتصادية لتواكب الواقع الماليزي:

تعددت استراتيجيات محاضير محمد للتنمية الاقتصادي لتواكب الواقع الماليزي، نتيجة للمصادمات العرقية التي شهدتها البلاد عام 1969 والتي نجم عنها إنشاء مجلس متعدد الأعراق القومية ارتأى محاضير محمد استحداث خطة تنموية تتجاوز الأهداف السابقة، والتي تمثلت قبل اضطرابات 1969 في إعطاء الأولوية لإعادة بناء الاقتصاد الماليزي بشكل يجمع بين الاعتماد على الذات ورأس المال الأجنبي، وذلك ليشغل هدف إعادة توزيع الثروة موقع الصدارة بين مختلف الأهداف التنموية.

وبعد انتهاء "السياسة الاقتصادية الجديدة" عام 1990 (وهي السياسة التي طورتها الحكومات السابقة بعد الاضطرابات العرقية سنة 1969) بادر محاضير محمد إلى استحداث سياسة جديدة للتنمية من خلال الخطة السادسة للتنمية والتي عرفت بسياسات التنمية القومية" وهي الخطة التي سوف تستمر خلال العشرين عاماً التالية والتي عرفت برؤية 2020، وهنا تجدر الاشارة إلى أن هذه الأخيرة تعكس في مجملها رؤية محاضير محمد للمرحلة التنموية

1- Jalal Alamgir,1994, Formula and Fortune:Economic Development in Malaysia, Jorunal Of -Contemporary Asia, vol. 24, (1), pp.70-73.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

التالية التي تتمثل في توجه جديد للقيادة إزاء الملايو يتراجع فيها التوجه العرقي بعد أن نجحت الخطة السابعة في الارتقاء بالمستوى الاقتصادي للملايو.

ولعل مما يذكر أن مختلف الخطط التنموية التي يعد محاضير محمد أهم مهندسيها قد قادت إلى نمو سريع التصنيع بعد أن كان اهتمام ماليزيا في فترات سابقة منصباً على الزراعة وذلك في إطار ايلاء محاضير محمد أهمية كبرى للصناعة التي ارتفعت نسبة مساهمتها في الناتج المحلي الإجمالي من 11% إلى 33،1% في منتصف التسعينيات.

إذا ما حاولنا استقراء دور محاضير محمد في تحقيق هذا النجاح الملحوظ فسوف نلحظ أن أهم أسباب حفز التنمية في ماليزيا تتمثل فيما يلي[1]:

أ- الأداء المتميز للقيادة السياسية التي حضيت بمساندة شعبية هائلة حيث لم يكتف بالحصول على تأييد النخب الاقتصادية رجال الأعمال بل إنما لجأ إلى استمالة كل من الطبقة الوسطى والطبقات الفقيرة، وهنا تجدر الإشارة إلى أن النمو السريع في التصنيع قد افرز طبقة وسطى في ماليزيا نتيجة تطبيق الخطة الاقتصادية الجديدة بحيث شكل أفراد هذه الطبقة في منتصف التسعينيات حوالي 45% من إجمال القوى العاملة في البلاد.

هذا كما حظيت سياسات محاضير الاقتصادية بتأييد الطبقات الفقيرة وخاصة من بين غالبية الملايو أو"سكان الأرض" الذين يشكلون ويمثلون سكان البلاد الأصليين.

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات لماليزية. ص: 74-75.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ب- الاستقرار الاقتصادي في ظل دور محوري للدولة حيث أدى وضوح رؤية محاضير محمد التنموية إلى تحقيق قدر من استقرار السياسات الاقتصادية بحيث انعكس على أداء القيادة إيجاباً على الواقع الاقتصادي الماليزي الذي تمكن من خلق مناخ مواتي لاجتذاب الاستثمارات الأجنبية في ظل استقرار سياسي كثيرا ما ألمح محاضير محمد إلى أهميته في حفز التنمية.

وفي إطار هذا السياق تم معالجة مشكلة البطالة من خلال تدخل حكومي حيث لم يغفل محاضير محمد دور الدولة في التنمية إلى جانب القطاع الخاص بحيث ارتأى أهمية قيام الدولة بدور محوري في تخصيص الموارد المتاحة بحيث لجأت ماليزيا بالفعل إلى المزج بين كل من اقتصاد السوق والتدخل الحكومي بحيث ما قادها إلى أن تكون صاحبة أحسن أداء اقتصادي في منطقة جنوب شرق آسيا بعد أزمة 1997 حيث تمكن الاقتصاد الماليزي من الحفاظ على سعر العملة الماليزية والتحكم في التضخم وتحقيق فائض في ميزان المدفوعات حوالي 13،6% من الناتج القومي الإجمالي.

هذا وقد تبدت رؤية محاضير محمد التنموية في عدم إغفال دور الدولة في عملية التنمية من خلال تكريس نسبة 16،3% من الناتج المحلي الإجمالي لتمويل الجوانب التنموية، وقد أعرب محاضير محمد عن أسفه لما ينادي به البعض من أن الحكومات لم تعد ضرورية، في إطار إطلاق آليات السوق الحر الذي سيقوم بمهمة تنظيم سلوك الحكومات التي يجب

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

أن يتسم نشاطها بالشفافية والنزاهة مع تقبلها لمبدأ المحاسبة مؤكدا استمرارية دور الدولة في مواجهة السوق الحر الذي لا يعكس سوى مسمى جديد للرأسمالية.

جـ – شمولية عملية التنمية حرص محاضير محمد على تأكيد شمولية عملية التنمية بحيث لم تقتصر على الصناعة فقط إنما أولى اهتماما بالزراعة باعتبار ماليزيا بالأساس بلداً زراعياً وخاصة فيما يتعلق بزراعة أشجار النخيل التي يمثل إنتاجها من زيت النخيل أهم صادرات ماليزيا هذا إضافة إلى اهتمامه بتنمية اقتصاد المعرفة ومجال الاتصالات والبيئة[1].

د– التنمية البشرية مثل مجال التنمية البشرية أحد أهم شواغل محاضير محمد التنموية وذلك لولوج الاقتصاد الماليزي مرحلة الاقتصاد الحر والمنافسة العالمية –على نحو ما أسلفنا– وهو ما اقتضى تكثيف الاهتمام بالتدريب والتعليم لخلق طبقة عاملة ماهرة تواكب التطورات التكنولوجية، فإذا كان محاضير محمد قد ركز في بدايات الطفرة التنموية في ماليزيا إلى تشجيع الصناعات كثيفة العمالة التي لا تتطلب مهارات خاصة وذلك لاجتذاب الاستثمارات الأجنبية الساعية إلى العمالة الزهيدة الثمن إلا أنه في مرحلة ثانية ركز على ضرورة اكتساب العمالة الماليزية لمزيد من المهارات في التصنيع والإدارة والتسويق.

وعلى هذا النحو بدأ الماليزيون بالفعل في اقتحام عدد من الصناعات الحديثة التي اشتملت على منتجات الكترونية فائقة الجودة وتم رصد مبالغ طائلة لتنمية الموارد البشرية

1– ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية– برنامج الدراسات الماليزية. ص: 76.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

بصفة عامة وذلك من خلال تمويل كل من صندوق تنمية الموارد البشرية والتدريب في محاولة لتكوين عمالة ماهرة وتقليل الاعتماد على العمالة الأجنبية.

5- مواجهة أزمات التنمية الاقتصادية ويشمل ذلك العناصر التالية:

أ-كيفية إدارة الأزمات:

تعدد في ماليزيا معوقات التنمية على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ويمكن القول أن محاضير محمد قد نجح إلى حد كبير في اجتياز الكثير من أزمات التنمية في المجتمع يتسم بالتعددية العرقية وما يعكسه هذا الوضع من صعوبات تتعلق بالعدالة التوزيعية ومن ضرورة لصياغة استراتيجيات تناسب مع الواقع الماليزي الشديد التعقيد.

وما يلاحظ على محاضير محمد خلال فترة لدولة ماليزيا هو حرصه على اعطاء الأولوية لتحقيق التوازن بين مختلف القطاعات وذلك عبر مختلف الخطط التنموية قد جاء على حساب بعض مجالات التنمية وهو ما تبدى خلال السنوات حين تعرضت ماليزيا عام 1985 لمرحلة من الركود الاقتصادي وتراجع أداء القطاع العام الذي سجل حيزا أكثر اتساعا من القطاع الخاص إضافة إلى تنامي المديونية الخارجية لماليزيا وهو ما شكّل أول أزمة اقتصادية في عهد محاضير محمد[1].

1- K. S. Jomo, Khoo, " Policy and Governance in Malaysia", in Leila Firschtak and Leal Atitas eds. Governance Leadership and Communication, (Washington D. c World Bank), p.65.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وإدراكاً منه لهذه المخاطر حرص محاضير محمد على تشجيع القطاع الخاص عبر مجموعة من الإجراءات التي كان من شأنها الحد من الإنفاق العام وإعادة هيكله بعض المشروعات وخصخصة الكثير منها.

وقد حققت هذه السياسة بالفعل نجاحاً ملحوظاً على صعيد إعادة الهيكلة الاقتصادية والاجتماعية كما ارتأى محاضير محمد أنها قد حافظت على كل من الاستقرار السياسي والاجتماعي للبلاد.

ومن جانبه أعرب محاضير محمد عن ارتياحه لمشاركة الملايو في هذا المجال مع الإشارة إلى رفضه تحفظ العمال في هذا الصدد موضحاً أن هذه الإجراءات قد وجدت القبول من كل العرقيات الماليزية وقادت إلى إصلاح اقتصادي ملحوظ، وبالفعل أكد محاضير محمد نجاح الاستراتيجية التنموية مدللاً على ذلك بنمو الناتج المحلي الإجمالي عام 1996 بنسبة 5،8%، وهو المعدل الذي ارتأى إمكانية استمراره لسنوات مقبلة، بعد أن وبرغم تعدد أزمات التنمية إلا أن الأزمة الاقتصادية الطاحنة التي عصفت بكثير من بلدان جنوب شرق آسيا بحق أكثر أزمات التنمية عنفا وشراسة.

وقد استطاع محاضير محمد أن يتبع منهجاً خاصاً في إدارته لهذه الأزمة لخصت في إحدى مقولات الملايو الذي ينتمي إليهم وهي "إذا ما ضللت الطريق فعليك أن تعود إلى خط البداية"، ومن هذا المنطلق اصطبغت إدارة محاضير محمد لهذه الأزمة بخصوصية فردية من

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

نوعها تمكن من خلالها وذلك على عكس كثير من دول جنوب شرق آسيا الأخرى من اجتيازها بسلام من خلال رؤية وطنية تحدت علاجات صندوق النقد الدولي[1].

وبرغم ما نجم عن هذه الأزمة من خفض قيمة العملة الوطنية الماليزية بنسبة 50% إلاَّ أَنَّ محاضير محمد تمكن من اتخاذ مجموعة من الإجراءات لوقف حِدة هذا التدهور ودون اللجوء إلى حلول خارجية يفرضها صندوق النقد الدولي والتي رفضها منذ البداية نتيجة لما يمكن أن تتسبب فيه ذلك على حد قوله من كارثة على ماليزيا نظراً لفلسفة هذه المؤسسة القائمة وفقا لوجهة نظره على ما طلق عليه "المنافسة غير المقيدة" التي يمكن أن تضر بالاقتصاد الماليزي إضافة إلى إغفالها المساواة في الفرص وحرصها على مضاعفة الربح للأغنياء على حساب الفقراء.

هذا إضافة إلى رفض محاضير محمد لهذا العلاج الذي يكون بمثابة " طبيب يصف دواءاً واحد لكل مريض"، وفي إطار هذا السياق تمثلت رؤيته في محاولة استحداث سبل موائمة لمواجهة الأزمة تمكنت ماليزيا من خلالها من تحديد مديونيتها بسعر أخيار السعر عملتها المحلية وتنامي عمليات السحب رؤوس الأموال الأجنبية قصيرة الأجل[2].

1 Bridget Welsh,1989, " Malaysia and Globalization Contradictory Correct", Asian Perspective, (Seoul),vol. 25, No. 4,p.261.

2 The Europe World Tear Book, 2000, vol. 1, 41st ed.(London Europe Publications Limited), pp. 2311-2312.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

انتهج محاضير محمد لتجاوز هذه الأزمة ما عرف بنظام التحكم والسيطرة بالتبادل الانتقائي غير التقليدي الذي استند إلى وقف تبادل العملة الوطنية الماليزية في الخارج وذلك من خلال تجميد حسابات هذه العملة مع تثبيت سعر الصرف وفرض النظام يقضي بمنع إعادة تصدير السندات والأوراق المالية إلى بلدان المنشأ لمدة عام نظرا لعدم استقرار الأسواق المالية في ماليزيا.

هذا وقد اتخذ محاضير محمد عددا آخر من الإجراءات الحمائية تمثلت في فرض قيود على تدفق رؤوس الأموال الأجنبية من وإلى ماليزيا مع خفض الإنفاق الحكومي وفتح المجال لمزيد من الخصخصة للماليزيين دون الأجانب مع ضمان إعفاءات ضريبية كبيرة.

ومع الاستقرار النسبي للوضع الاقتصادي شغل موضوع إعادة البناء فكر محاضير محمد وهي المهمة التي اعتبرها لا تقل أهمية عن الترتيبات التي اتخذها الدول في فترات ما بعد الحروب بل أن محاضير محمد أكد على خطورة تداعيات أزمة 1997 مقارنة بالتدمير الذي ينجم عن الحروب وذلك لجهل ماليزيا في سياق هذه الأحداث بأعدائها أو حلفائها على عكس ما يحدث في الحروب مع عدم تأكدها مما أسماه محاضير محمد من "قواعد اللعبة" التي يجب أن تنهجها لمواجهة مثل هذه التحديات التي يمكن أن تتكرر.

هذا ولعل أهم تداعيات إدارة محاضير محمد لهذه الأزمة تلك التي تمثلت في رفضه للرؤية الغربية التي تتهم كثير من القيادات الآسيوية بالفساد وعدم الأمانة وهي الرؤية التي

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ارتأى محاضير محمد تجذرها في الفكر الغربي نتيجة قناعة هذا الأخير بتفوق الرجل الأبيض كما انتقد الدعاية الغربية التي تندد بمن لا ينتهج الفكر الغربي الذي ابتكرته في الأساس الدول الغنية التي وصلت إلى مستوى متقدم من التنمية بعد أكثر من قرن من الزمان وهو ما يشير إلى صعوبة تبني الدول النامية لهذا الفكر وتحرير نظمها لصالح الدول الغنية.

وحَذَّرَ محاضير محمد من أيديولوجيات وشعارات الدول الغربية مؤكداً أن ماليزيا لن تسمح لأحد بفرض تلك الأفكار وذلك في إطار السماح للاستثمار العالمي في بعض القطاعات مع عدم التخلي عن الدور التوجهي للدولة[1].

وعلى نفس المنوال أشار أسلوب إدارة محاضير محمد للأزمة الاقتصادية مخاوف العديد من الخبراء الغربيين باعتباره تحدياً لصندوق النقد الدولي الإصلاح الاقتصاد الرأسمالي[2].

ب- تكلفة التنمية الاقتصادية وسبل معالجتها:

وعى محاضير محمد بعض مخاطر التنمية الاقتصادية في ماليزيا فسعى عبر نفس الرؤية الواضحة التي انتهجها في كثير من ممارساته إلى مواجهة تكلفة التنمية الاقتصادية المتلاحقة التي تشهدها ماليزيا، كما لاحظ تنامي عدد من المشكلات الاجتماعية الناجمة عن التغييرات المتواترة في مستوى المعيشة بصفة عامة ومن بينها ظهور بعض مؤشرات لعدم العدالة التوزيعية

1 Mahathir Mohamed, 1999, A new Deal for Asia (Kuala Lumpur: Pelanduk Publications.

2- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 78.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وهو ما قاد محاضير محمد إلى ضرورة الاهتمام بالقضاء على الفقر بين بعض القطاعات الماليزية الفقيرة أيمانا منه بما يمكن أن يشكله ذلك من تهديد للاستقرار السياسي لماليزيا[1].

ويمكن القول بداية أن التنمية الاقتصادية قد أسهمت في تخفيض معدل الفقر حيث انخفض عدد من يعيشون تحت خط الفقر مع بداية التسعينيات 49% إلى 17% حتى وصل عام 1999 إلى 7،35% فيما يعد من أقل مستويات الفقر على المستوى العالمي، بيد أن مختلف سياسات التنمية التي عكست في مجملها فكر محاضير محمد المتوازن العقلاني قد أدت إلى تراجع ملحوظ في العدالة التوزيعية وفي اختلالات الدخل بصفة عامة بسبب اهتمامه بتنمية الريف وهو ما انعكس إلى حد كبير على القضاء على الفقر غي ماليزيا.

هنا تجدر الإشارة إلى أن محاولات محاضير محمد القضاء على الفقر وأن نجحت في مجال الفقر المطلق إلا أن أدرك استمرارية ما يسمى بظاهرة الحرمان النسبي التي سادت عدد من المناطق الريفية في ماليزيا على غرار منطقة سارواك التي وصل مؤشر الفقر بها في بداية التسعينيات إلى 21% وذلك في ظل ازدواجية ملحوظة بين كل من القطاع الزراعي والصناعي في المناطق الريفية[2].

وعلى صعيد أخر أدرك محاضير محمد تداعيات التنمية الاقتصادية على بعض الأوضاع الاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بوضعية هيكل الأسرة الماليزية التي تمثل وفقا لمنظوره من أهم

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 79.

2- المرجع السابق. ص: 79.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ركائز التنمية في ماليزيا وذلك في ظل قناعته بالقيم الآسيوية التي تولي اهتماماً خاصاً بالعلاقات الأسرية بصفة عامة وتؤكد المحورية دور الأسرة في المجتمع.

ومن هذا المنطلق حرص محاضير محمد على تكوين لجنة وزارية تختص بصياغة خطط عمل تقوم على معالجة كافة المشاكل الأسرية الناجمة عن التنمية الاقتصادية وهي المشكلات التي حرصت الحكومة على معالجتها عبر كل من الخطة السابعة والثامنة للتنمية.

وقد تمثلت بعض هذه التحديات في التفكك الأسري والعناية بكبار السن وغيرها من المشاكل التي لم يغفل محاضير محمد عن معالجتها أيمانا منه بشمولية الخطة التنموية من ناحية وبضرورة معالجة أي خلل اجتماعي ناجم عنها من ناحية أخرى.

ولعل من هذا المنطلق كان اهتمامه عام 1999 بتبني خطة قومية للعناية بكبار السن إضافة لمحاولته الحد من الآثار الاجتماعية السلبية للتنمية على مختلف أفراد الأسرة بصفة عامة انطلاقا من أهمية هذه الأخيرة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي الذي يعد وفقاً لفكر محاضير محمد ركيزة أساسية لكل من الاستقرار الاقتصادي والسياسي، ولقد تجلت ذلك الاهتمام بكبار السن في عددٍ من المواقع أثناء إقامتي بدولة ماليزيا، وخاصة عند استخدامي شتى أنواع المواصلات كالقطار أو بالحافلات العامة[1].

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 79-80.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

وفي هذا الإطار تم تبني برنامج لتنمية الأسرة عام 1999 تحت شعار "سويا بالأسرة إلى الألفية الجديدة" الذي تمثل هدفه الأساسي في الارتقاء بالأسرة باعتبارها اللبنة الأساسية للتنمية، واستكمالاً لهذه الخطة الاجتماعية لمواجهة تداعيات التنمية الاقتصادية امتد اهتمام القيادة السياسية إلى مستقبل ماليزيا الذي تمثله كل من أطفال وشباب ماليزيا حيث حرص على استصدار لائحة للطفل عام 2000 لإسباغ الحماية اللازمة لهذه الفئة خاصة في ظل تزايد حالات استغلال الأطفال.

ومن الجدير بالإشارة أن ماليزيا تحت قيادة محاضير محمد قد صادقت على المبادئ العامة التي وردت في وثيقة حقوق الطفل عام 1995 هذا إضافةً إلى دعم القيادة السياسية لما عُرِفَ بالمجلس الماليزي لرفاهية الطفل إضافة إلى مختلف المؤسسات التي تشارك هذا المجلس نفس الأهداف من خلال محاولة توفير العناية والحماية الكاملة للأطفال في مواجهة بعض تداعيات التنمية الاقتصادية[1].

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص 79 – 80.

المطلب الثاني: محاضير محمد والتنمية السياسية

مَثَّلَتْ طبيعة العلاقة بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي في ماليزيا أحد أهم القضايا التي شغلت محاضير محمد وذلك في ظل تنامي المطالب الشعبية بمزيد من التحولات الديمقراطية، بيد أنه تجدر الإشارة إلى أنه برغم كون التنمية السياسية مثلت أحد شواغل محاضير محمد إلا أنها لم تشغل موقع الصدارة على غرار التنمية الاقتصادية، فمع التحول الاقتصادي الذي شهدته ماليزيا بدأت الأنظار تتجه نحو مزيد من الليبرالية السياسية مواكبة مع التحررية الاقتصادية، وقد بلور محاضير محمد رؤية خاصة تستند إلى مجموعة من المعايير التي نبعت من الواقع الماليزي وذلك دون التأثر بالطموحات الغربية.

تمحورت العلاقة بين كل من التنمية الاقتصادية والليبرالية السياسية حول تيارين أساسين تمثل الأول في الاتجاه التحريري الذي يرى أن التنمية الاقتصادية عادة ما تفضي بالضرورة إلى مزيد من التحولات الديمقراطية حتى لو استهلت في ظل نظام سلطوي حيث يؤدي النمو الاقتصادي إلى مزيد من الوعي السياسي واتساع حيز المشاركة الشعبية في عملية صنع القرار التي تكون بمثابة صمام الأمان للتنمية الاقتصادية وذلك في ظل علاقة تبادلية تقود بالضرورة إلى مزيد من التعددية السياسية.

أما التوجه الثاني فيرى تأثر النمو الاقتصادي بالواقع السياسي بما يستوجب أن التنمية السياسية موقعاً محورياً في عملية التنمية ككل في إطار علاقة عضوية وثيقة هذا وتنبع

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

التحولات الديمقراطية من حفزها للمناخ الاقتصادي المواتي للتقدم،وألمح من جانبٍ آخر إلى صعوبةِ خلق مناخٍ توافقي مع تباين الاتجاهات العرقية واختلاف وجهات النظر في ماليزيا مما أدى إلى التراجع النسبي للنظام الديمقراطي بها خاصةً وأن التجربة الماليزية في هذا الشأن وفقاً لتصوره مازالت حديثة[1].

هنا تبرز التجربة الماليزية في ظل قيادة محاضير محمد لتدحض هذا التوجه خاصة وأن هذه الدولة شهدت انطلاقة تنموية في ظل النظام لا يعترف لهذه الرؤى الغربية أو بالممارسات السياسية التي ترتبط بالمنظومة الليبرالية الغربية.

وبطبيعة الحال يرجع ذلك بالأساس إلى تميز ماليزيا بثقافة سياسية خاصة وبقيادة تمكنت من خلق مناخ موائي للتنمية من خلال رؤية سياسية لا ينظر بارتياح للأفكار الغربية الوافدة بل وفى ظل نظام اعتبره الكثيرون نظاماً سلطوياً وفي أحسن الأحوال ارتأى فيه البعض سمات نظام شبه ديمقراطي[2].

1- موقع الديمقراطية بين أهداف محاضير محمد التنموية:

أكد محاضير محمد على أهمية الديمقراطية وعلى ضرورة انتهاج عدداً من الممارسات التي تعكس في مجملها المنهج الديمقراطي حيث أشار إلى إمكانية المضي قدما في هذا المجال

1- ميتيكس، هدى. أبريل 2004 . " الديمقراطية والتنمية في ماليزيا ". ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي الأول للدراسات الماليزية حول النموذج الماليزي للتنمية. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الأسيوية. ص: 2-4.

2 Willim Case, fall 1996. "The 1996 UMNO party Election: Two for the Show" Pacific Affairs vol . 7 No. 3.pp.393-393.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

خاصة وأن عدد الشعب الماليزي الذي لا يزيد عن حوالي 28 مليون نسمة والذي نجح بسبب هذا العدد الضئيل في مواجهة العديد من المشاكل يمكن أن يؤهله إلى ولوج مزيد من التحولات الديمقراطية وهي ما تشير إلى إمكانية إعطاء مزيد من السلطة لمختلف أفراده بيد أنه ألمح من جانب أخر إلى صعوبة خلق مناخ توافقي مع تباين الاتجاهات العرقية واختلاف وجهات النظر في ماليزيا مما أدى إلى التراجع النسبي للنظام الديمقراطي في ماليزيا خاصة وأن التجربة الماليزية في هذا الشأن وفقا لتصوره مازالت حديثة[1].

وفي إطار هذا السياق أكد محاضير محمد من جهته على أهمية إرساء دعائم نظام ديمقراطي يحقق الاستقرار السياسي الذي اعتبره من أهم محددات التنمية الاقتصادية التي جعلها على صدارة أجندة اهتماماته -على نحو ما أسلفنا- وعلى هذا النحو لم ينبذ محاضير محمد الديمقراطية في بلاده إلا بعد أن اتضح أن الأمر يحتاج لسنوات إلى التجربة التي يمكن من خلالها أن يتعلم الشعب الماليزي الممارسات الديمقراطية وهو ما يقتضي إيلاء أهمية كبرى لتعليم الماليزيين كيفية إنجاح الديمقراطية في ماليزيا في إطار مزيد من الفهم لحدود هذه الممارسات، فنجاح النظام الديمقراطي في رؤيته يرتبط بالأساس إلى فاعلية الممارسين في إطاره، فالنظام الجيد لا يعمل بشكل فاعل منفردا عن أفراده وإنما يكون لهؤلاء دور أساسي في إنجاحه واستمرارية هذا النجاح.

1- ميتيكس، هدى. أبريل 2004 . "الديمقراطية والتنمية في ماليزيا". ورقة مقدمة في المؤتمر السنوي الأول للدراسات الماليزية حول النموذج الماليزي للتنمية. جامعة القاهرة: مركز الدراسات الأسيوية. ص: 7-9.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وتجدر الإشارة أن محاضير محمد انفرد برؤية خاصة عن الحرية في إطار الممارسات الديمقراطية حيث ارتأى إمكانية أن تقود هذه الأخيرة في العديد من الدول النامية إلى بعض السلوكيات غير المسئولة بما يمكن أن تقود إلى عدم إعطاء الحكومات المنتخبة الفرصة للحكم وذلك من خلال الإضرابات التي تستند إلى مبدأ الحرية في إطار المنظومة القيمية الليبرالية الغربية إضافة إلى تعدد المظاهرات التي يمكن أن تمثل عائقا في مواجهة الحكومات المنتخبة، ورغم اعتراف محاضير محمد بما أسماه فضائل الديمقراطية إلا أنه أشار إلى إمكانية ما يمكن أن تقود إليه في ماليزيا من الفوضى وعدم الاستقرار وهي الأهداف التي أصبغ عليها محاضير محمد أهمية كبرى ووضعها في صدارة أولوياته.

وفي إطار هذا السياق أكد محاضير محمد أن الافتقار إلى الاستقرار يمكن أن يمثل عائقا في مواجهة التنمية التي تمثل أهم أهداف الدول النامية على الإطلاق خاصة في الدول التي تشهد عددا من الاضطرابات مثل ماليزيا وذلك على خلاف الحال في الدول المتقدمة التي قطعت شوطا كبيرا في مجال التنمية.

وبطبيعة الحال لم يغفل محاضير محمد الاتهامات الغربية الموجهة إليه لعدم انتهاجه المسلك الديمقراطي على النهج الغربي حيث أشار إلى ضرورة صياغة شكل خاص من الديمقراطية تتناسب مع الواقع الماليزي تتمثل أهم معالمها في دورية الانتخابات كآلية أساسية لتبادل السلطة بشكل سلمي وذلك مع استبعاده لأي وسيلة أخرى، وعلى هذا النحو فإن

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

فشل القيادة السياسية في إشباع رغبة الشعب يستوجب في نظره، اقصائها من خلال صناديق الاقتراع، ومن هذا المنطلق أعرب محاضير محمد منذ فترة مبكرة ومن خلال خطته على أن المناصب القيادية ليست دائمة وذلك في إطار حرصه على النفع العام الذي يفوق في أهميته البقاء في المواقع القيادية.

وفي إطار هذا السياق أعلن محاضير محمد ضرورة التمسك بالديمقراطية على النهج الماليزي الذي يتواءم مع الواقع الماليزي من المنطلق أن الديمقراطية الغربية قد تناسب بعض الشعوب ولكنها بالتأكيد لا تصلح للجميع وخاصة لكثير من الدول النامية ومن بينها ماليزيا مؤكدا أهمية تحقيق الرفاهية لشعوب هذه الدول.

ومن هذا المنطلق أوضح محاضير محمد أن تعاقب كثير من الحكومات في عدد من الدول لم يحقق الكثير لعدد من شعوب الدول النامية كما أن النظام الديمقراطي ليس قانوناً ألهياً إنما هو نظام وضعي قابل للخطأ والصواب، بحيث يمكن رفض بعض مفرداته ونبذ ما أسماه بتفسيرات الأنبياء الجدد "The interpretations of the new prophets " التي قد تهدد في مقتل الاستقرار السياسي في كثير من دول العالم الثالث التي هي أحوج ما تكون إليه لتحقيق التنمية مما يقتضي إعادة ترتيب الوضع الداخلي لاكتساب القوة السياسية خاصة في إطار رغبة عدد من القوى الدولية تحقيق الهيمنة السياسية والاقتصادية العالمية وهو ما يعني لدى محاضير محمد أن التقاعس عن تحقيق كل من القوة السياسية والاقتصادية يمكن أن يقود

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

إلى تحول دول العالم الثالث مرة أخرى إلى مستعمرات[1]، وعلى هذا النحو تبرز مرة أخرى لدى محاضير محمد أهمية الاستقرار السياسي في دول العالم الثالث الذي يقود الافتقار إليه إلى الضعف والتراجع حتى في إطار تحقيق قدر من التقدم الاقتصادي.

ولعل مما يذكر أن محاضير محمد أعْلَنَ مراراً عدم دفاعه عن الحكم السلطوي وإنما طالب بانتهاج الممارسات الديمقراطية التي تم تبنيها في الغرب مع بدايات الحكم الديمقراطي في كثير من دوله، ففي تلك المرحلة لم تكن الديمقراطية الليبرالية تبلورت بشكل واضح المعالم بحيث اتسمت بالتراجع النسبي ومع ذلك لم يدفعها أو يهددها أحد، ومن هذا المنطلق، طالب محاضير محمد بالسماح لمختلف دول العالم النامي بأن تحدد ملامح مسارها الديمقراطي دون ضغوط أو تهديدات، وبطبيعة الحال لم يغفل محاضير محمد أهمية تحقيق التنمية الاقتصادية لحفز الاستقرار السياسي، وهو ما يمكن أن يترسخ في تصوره من خلال التعاون مع مختلف الدول، فلا توجد دولة قادرة على إدارة شئونها منفردة بشكل مطلق، وهو ما دعا ماليزيا إلى النقل والمحاكاة في كثير من المجالات دون خجل من كل من الغرب والشرق بل أنه كثيراً ما أوضح ضرورة تعلم ماليزيا من أخطاء الآخرين لتجنب هذه الأخيرة في المستقبل.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

1- عبد العزيز، ميرفت. 1997. *العلاقة بين الديمقراطية والتنمية في سنغافورة وماليزيا*. في: سليم، محمد السيد. مسعد، نيفين. محرران. العلاقة بين الديمقراطية والتنمية في أسيا. ص: 322.

2- موقف محاضير محمد من التعددية السياسية:

شهدت ماليزيا تحت قيادة محاضير بعض الأبعاد المؤسسية للديمقراطية التي تجسدت عبر تعددية سياسية وأن انفراد محاضير محمد بممارسات ذات طبيعة خاصة تحددت معالمها في إطار ما بات يعرف بالديمقراطية الآسيوية وذلك في إشارة واضحة لتمايزها عن مكونات المنظومة القيمية للديمقراطية الغربية التي تستند إليها بالأساس آليات التحول الديمقراطي المعاصر.

ويرجع هذا التباين بطبيعة الحال إلى اعتناق محاضير محمد لثقافة سياسية تقليدية في إطار دفاعه عن "القيم الآسيوية" التي تعلي من شأن مكانة السلطة الحاكمة مع التأكيد على الحفاظ على الهيراركية مع ما يقتضيه ذلك من ضرورة طاعة القيادة[1].

وفي إطار هذا السياق حظيت قيمتي الاتفاق والعمل في إطار الجماعة بأهمية خاصة في فكر محاضير محمد وهو ما عني النظر بعين الشك وعدم الارتياح للآراء المعارضة نظرا لما يمكن أن تمثله من مخاطر على وحدة الصف في ماليزيا خاصة وأن محاضير محمد كان مدركا لعواقب أي انشقاقات في المجتمع الماليزي ذي التعددية العرقية.

ومن هذا المنطلق شغلت القيم الآسيوية موقع الصدارة في المنظومة القيمية لمحاضير محمد وها هو ألقى بظلاله على طبيعة ممارسته السياسية التي لم يرى الماليزيون أي غضاضة

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 83.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

في تقبلها برغم ما شابها من قدر من السلطوية نظراً لاعتبارها الأسلوب الأمثل في الحكم في ظل الواقع التعددي للبلاد.

وعلى هذا النحو لم يخف محاضير محمد عدم ميله إلى الديمقراطية الغربية لتحقيق التنمية السياسية في البلاد بل ارتأى جواز تقبل قدر يسير من هذه الديمقراطية خاصة في مجال التعددية وذلك سبيل لضمان الاستقرار السياسي في بلد يهدده خطر الانشقاقات.

هذا وقد برر محاضير محمد بعض الممارسات السياسية التي تتباعد عن المنظومة الليبرالية الغربية والتي من خلالها رأى الغرب في النظام الماليزي نظاماً نصف ديمقراطي - Semi Democratic، أنه تمكن من خلالها في حماية التنمية الاقتصادية.

وعلى هذا الأساس أكد محاضير محمد أن ظاهرة التحول الديمقراطي التي اجتاحت الكثير من أنظمة العالم الثالث لا تمثل على نحو ما ادّعى الغرب البديل الشرعي المحتمل الأوحد[1]، فقد أكد أن هناك بدائل أخرى يمكن أن تنبع من الواقع الماليزي وتحافظ على خصوصيته في مواجهة الفكر الغربي الوافد الذي لا يتناسب مع الثقافة السياسية التقليدية.

أكد محاضير محمد على ضرورة تمثيل الأحزاب لمختلف العرقيات كما حرص على منع المصادمات فيما بينها خاصة وأن حزب تجمع الصينيين الماليزيين طالما أعلن عن تخوفه من الحزب الإسلامي المعارض نتيجة بعض مطالبات هذا الأخير الذي ارتأى فيها حزب

1- ميتيكس، هدى. 2006. رؤية محاضير محمد للتنمية. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 84.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

تجمع الصينيين الماليزيين تهديدا لهويته الصينية، أما فيما يتعلق برؤية محاضير محمد للمعارضة فإن الرؤية الفاحصة تؤكد تشككه في إمكانية تمثيلها لبديل فاعل للحكومة القائمة حيث ارتأى ضعف الأحزاب القائمة على الساحة الماليزية.

المطلب الثالث: البعد الثقافي للتنمية في فكر محاضير محمد

اهتم محاضير محمد طوال فترة حكمه بالبعد الثقافي للتنمية فإلى جانب ما تقدم من إعطائه الأولوية للبعد الاقتصادي للعملية التنموية فإن الجانب الثقافي حظي أيضاً باهتمام بالغ من قبل القيادة السياسية في إطار مجموعة من الإجراءات التي أسهمت في حفز ما درج على تسمية "بالتحررية الثقافية"، إذا كانت التحررية السياسية في ماليزيا من خلال فكر محاضير محمد قد اتسمت ببعض القصور نتيجة رفضه لطموحات الديمقراطية الغربية، فإن الواقع التنموي الثقافي في ماليزيا قد عرف في عهد محاضير محمد انطلاقة ضخمة حيث رأى في البعد الثقافي للتنمية أحد ركائز التقدم والرقي[1].

من هذا المنطلق اتخذ محاضير محمد عام 1990 مجموعة من الإجراءات التي كان من شأنها على نحو ما ارتأى الغرب دعم الليبرالية الثقافية في ماليزيا، على الأقل من وجهة نظر

1- ميتيكس، هدى. 2006. *رؤية محاضير محمد للتنمية*. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 85.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

غير الملايو، وقد بدأ محاضير محمد في إعادة النظر فيما يتعلق بكثير من الرموز الهوية الملايوية من بينها الملك.

ومن جانبه قام محاضير بتعبئة حزب أمنو لمساندة التغيرات التي قام بها وبالفعل نجح في توحيد مختلف الآراء حول هذه الإجراءات الإصلاحية.

وبرغم تأكيد محاضير محمد على موقع لغة الملايو كلغة البلاد القومية إلاَّ أنه بدأ التأكيد على أهمية تعلم اللغة الانجليزية من قبل الملايو أنفسهم نظراً لمقتضيات عملية التنمية، ومنذ بداية التسعينات تم استخدام الانجليزية في الجامعات الماليزية بعد أن كانت لغة التعليم الأساسية منذ 1971 هي لغة الملايو.

وخلال عام 1996 تبلورت رؤية محاضير محمد في هذا الصدد حيث أصدر عام 1996 قانون التعليم الذي يعطي السلطة لوزير التعليم في إقرار استخدام اللغة الانجليزية في عدد من موضوعات الدراسة على غرار مستوى المدارس.

حرص محاضير محمد أيضاً على حفز الجامعات الماليزية على توثيق صلاتها بالجامعات الأجنبية التي سمح لها بالتواجد في أهم المدن الماليزية منذ نهاية الثمانينيات.

وقد أتاحت هذه الجامعات التعليم العالي للطلبة من غير الملايو الذين لم يستطيعوا استكمال تعليمهم وفقاً لنظام الحصص الذي وضعته الخطة الاقتصادية الجديدة لصالح الملايو خصخصة التعليم: شجع محاضير محمد خصخصة التعليم منذ منتصف الثمانينيات.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

وفي إطار هذا السياق تراجع احتكار الدولة للتعليم العالي الذي عد في فترة سابقة أساسياً لتكوين طبقة من الملايو المتعلمين، وذلك في إطار اهتمامه بالتنمية البشرية بصفة عامة وذلك من خلال التعليم بالذات، وفي عام 1996 ساند محاضير محمد عملية إرساء دعائم جامعات خاصة أسهمت في دعم العملية التعليمية في ماليزيا بما ضاءل من عدد إعداد الماليزيين الذين كانوا يتلقون تعليمهم بالخارج، كما شجع إنشاء مدارس خاصة أجنبية خاصة في كوالا لومبور وهي المدارس التي اجتذبت أبناء الطبقة الوسطى الماليزية، بل أنه لم يرفض بعض الاقتراحات المطالبة بتعليم كل من اللغة الصينية والهندية في بعض المدارس الخاصة خلال عام 1996.

وعلى صعيد آخر أصبحت الصحف الناطقة باسم أمنو تصدر باللغة الانجليزية كما تم بث العديد من البرامج الإذاعية والتليفزيونية باللغة الانجليزية إضافةً إلى برامج باللغة الصينية خاصة في القنوات الخاصة.

بطبيعة الحال واجهت محاضير محمد على ضرورة انفتاح التعليم الماليزي على الخارج نظراً لاحتياج ماليزيا إلى اجتذاب الاستثمارات الأجنبية مع قصور الجامعات المحلية عن استيعاب كافة أعداد الطلبة الماليزيين، كما شجع هؤلاء على الدراسة في كل من اليابان وكوريا وسنغافورة وتايوان إلى جانب الدول الغربية وذلك لما يمكن أن تؤدي هذا الأمر من نقل التكنولوجيا من هذه الدول إضافة إلى تدعيم الصلة بين الشركات الماليزية ونظيراتها في

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

هذه الدول مع جذب الاستثمارات منها نظراً لوجود مجموعات تتحدث بلغات تلك الدول[1].

ومما تجدر الإشارة إلى أن اهتمام محاضير محمد بالتعليم الحديث لا يعني بأي حال من الأحوال إغفاله لأهمية التعليم الديني حيث شجع إلى بعث الطلاب الماليزيين للدراسة في كثير من الجامعات الإسلامية في الخارج على غرار جامعة الأزهر التي وصل عدد الطلبة الماليزيين بها عام 2003 إلى حوالي ستة آلاف طالب.

وأكد محاضير محمد أن مستقبل التنمية سوف يتحدد في إطار السوق العالمية التي من خلالها تداول كميات هائلة من الأموال التي ستنتقل بسهولة بين الدول والقارات وقد أخذ محاضير محمد في اعتباره أن القرن الواحد والعشرين سوف يشهد حركات تنقل عبر حدوده بين العمال والمهنيين كما سيكون لهؤلاء في ظل ثورة تكنولوجيا الاتصالات الالكترونية إمكانية الإقامة في دولة والعمل في دولة أخرى مع حرية كاملة لتنقل العمالة في عالم بلا حدود، ورأى محاضير محمد هذه التغيرات سوف تقود إلى عدم وجود دولة تتسم بأحادية العرقية حيث ستتحول كافة الدول إلى التعددية الأثنية مثل ماليزيا وهو ما يستوجب منها ضرورة التأقلم مع هذا الوضع.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

1- ميتيكس، هدى. 2006. *رؤية محاضير محمد للتنمية*. القاهرة: مركز الدراسات الآسيوية- برنامج الدراسات الماليزية. ص: 85 - 86.

وعلى صعيد آخر أكد محاضير محمد أن مستقبل التنمية يقتضي الإقلال من حدة التباينات بين كل من الأغنياء والفقراء وهو ما يقتضي بالضرورة صياغة قواعد وأخلاقيات جديدة يتبعها الجميع في إطار منظومة قيمية تنأى بالعالم عن قانون الغاب ولا تؤدي في نفس الوقت إلى انهيار الدولة القومية التي يجب أن يظل دورها محورياً في عملية التنمية.

مما تقدم نرى وبجلاء كيف نجح محاضير محمد في بلورة رؤية واضحة المعالم للتنمية في ماليزيا بحيث شملت كل من البعد الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي، فقد قدم تصوراً متكاملاً للتنمية الاقتصادية ما أتاح له إرساء دعائم اقتصاد قوي استطاع جذب العديد من الاستثمارات الأجنبية بحيث زادت الصادرات الماليزية وحدث تحول هائل في نوعيتها وخاصة الصادرات الإلكترونية التي مثلت بحوالي 80% من الصادرات الماليزية.

كما أكد محاضير محمد أهمية دور الدولة في التنمية الاقتصادية مع الاعتراف بوضعية القطاع الخاص و قيامه بدور فاعل في عملية التنمية، وعلى الصعيد السياسي أكد محاضير محمد على خصوصية الديمقراطية الماليزية التي لا تستند إلى المنظومة القيمية الغربية بقدر ما تستقى ممارساتها من القيم الآسيوية التي تتعارض في كثير من مفرداتها مع الديمقراطيات الغربية، وفي إطار هذا السياق أكد على أولوية الاستقرار السياسي على بعض الممارسات السياسية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

على الصعيد الثقافي حرص محاضير على التأكيد على أهمية التحررية الثقافية التي تبدت عبر التعددية الثقافية في المجتمع الماليزي فإلى جانب لغة (الملايو السكان الأصليين)، لم يغفل محاضير كُل من اللغة الصينية والهندية لغة (الأقليات الآثنية في ماليزيا) هذا إضافة إلى استخدام اللغة الإنجليزية في كثير من المناهج التعليمية.

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA